

روسيا في الشرق الأوسط الدوافع - الآثار - الآمال

دراسة صادرة عن معهد واشنطن (Washington Institute)
للباحثة "آنا بورشيفكايا" في فبراير/2016



مراجعة وترجمة

مركز إدارك للدراسات والاستشارات

نشرت الترجمة في 22 آذار/مارس 2016

إدارك RAK

لدراسات والاستشارات • FOR STUDIES & CONSULTATIONS

3	مقدمة (إدراك للدراسات والاستشارات)
4	عن الكاتبة
5	مدخل
8	الفصل الأول: صعود بوتين
10	الفصل الثاني: العودة إلى الشرق الأوسط
16	الفصل الثالث: التأثيرات المحلية والإقليمية
22	الفصل الرابع: مصر
25	الفصل الخامس: إيران
31	الفصل السادس: العراق
35	الفصل السابع: سوريا
39	الفصل الثامن: الأردن ودول مجلس التعاون الخليجي وإسرائيل
42	الفصل التاسع: تركيا
44	الفصل العاشر: خاتمة
48	توصيات حول السياسات العامّة
51	المراجع والملاحظات

مقدمة (إدراك للدراسات والاستشارات)

شكل التدخل العسكري في سوريا حدثاً مهماً لم يكن ليمر دون أن يخلف آثاراً وتبعات ستستغرق من الباحثين جهوداً وأوقافاً طويلة قبل أن يتم الإلمام بتفاصيلها.

لم تخف روسيا يوماً أن أحد الأهداف الأساسية لتدخلها في سوريا الذي بررته موسكو بطلب رسمي من دمشق للمساعدة في محاربة "الإرهاب"، هو مساندة الأسد والحفاظ على بنية النظام خصوصاً العسكرية والأمنية منها، إلا أن الرواية الروسية للتدخل تضيف هدفاً هاماً آخر لهذا التدخل (الفتح) في منطقة الشرق الأوسط هو محاربة الإرهاب متمثلاً بأبشع صورته المعروفة: داعش.

غير أن الكثير من الدلائل وفي مقدمتها التقارير التي توثق المناطق والجهات التي تعرضت لهجوم القوات الروسية الجوية أو البرية، تشير بوضوح أن داعش لم تكن أبداً أولوية التدخل الروسي بل وفي كثير من الأوقات لم تكن على قائمة أهدافه أصلاً.

ويدل على هذا أيضاً تنوع الأسلحة الروسية المنتشرة في سوريا، ومنها أنواع متطورة من الصواريخ المضادة للطائرات، وهو ما يؤكد أن عمليات روسيا هدفها حماية الأسد وليس محاربة داعش التي لا تملك أي أسلحة جوية.

وليس التدخل الروسي العسكري المباشر الذي يحدث لأول مرة منذ عام 1973 وحده ما يستحق الدراسة والفهم ولكن أيضاً طريقة تعامل الولايات المتحدة مع هذا التدخل والتفاهات الروسية الإسرائيلية التي أفضت إلى تنسيق معين بخصوص هذا التدخل، وموقف إيران - الجمهورية الإسلامية - وحزب الله - الذي يعتبر نفسه العدو اللدود لإسرائيل - من هذا التدخل والتبرير له والقبول به بل والثناء عليه.

لقد ساهمت الكثير من الأحداث والعوامل في وصول الوضع في المنطقة إلى الحال التي هو عليها اليوم، ولا شك أن السياسة الروسية في سوريا والشرق الأوسط والأنشطة الروسية في المنطقة، بعد مايو/أيار 2000 على وجه الخصوص، حين تولى بوتين رسمياً السلطة في روسيا، تستحق الكثير من التوقف والمراجعة وتقييم طريقة التعامل الأطراف المختلفة معها.

لطالما أحاط الروس بعملياتهم بكثير من الغموض المتعمد وأحجموا عن توضيح تفاصيل خططهم والأنشطة التي يقومون بها في المنطقة، فرغم إفصاحهم عن أهدافهم الأساسية من هذه الأنشطة أو بعضها على الأقل فإن أحد الأمور التي تستحق التوقف عندها والبحث في الأسباب الحقيقية وراء هذا الغموض الذي تسبب برفع حالة العدائية وزاد من احتمالات التصادم مع الأطراف الأخرى ومنها تركيا.

ومهما حاول الروس وحلفاؤهم في المنطقة التخفيف من هول الآثار السلبية المترتبة على روسيا والمنطقة جراء تدخلهم، عبر اختصار بوتين عملية التدخل بأنها فرصة تدريب تارة أو عبر التقليل من شأن الخسائر في صفوف المدنيين والمعارضة المعتدلة تارة أخرى، فإن التدخل الروسي قد أحدث بالفعل معادلة جديدة في المنطقة لصالح النظام على حساب الثوار والفصائل السورية (المعتدلة) بالدرجة الأساس وليس على حساب داعش. وهو ما قلل من فرص الوصول إلى حل منطقي في الحالة السورية وربما يكون قد أسس لعودة الوضع في سوريا إلى المربع الأول إذ يجد الثوار أنفسهم اليوم مضطرون مرة أخرى لخوض المعارك الشرسة مع النظام لاستعادة المناطق التي ساعده الروس على استعادة السيطرة عليها بعد أن حررها الثوار من قبضة النظام خلال السنوات الـ 6 الماضية من النضال ضد النظام في سوريا.

عن الكاتبة



آنا بورشيفكايا (Anna Borshchevskaya): زميل باحث في معهد واشنطن، تنشط في البحث في مجال السياسة الروسية في الشرق الأوسط. بالإضافة إلى ذلك، تعمل كزميلة باحثة في المؤسسة الأوروبية للديمقراطية. وعملت سابقاً مع بيترسون في معهد الاقتصاد الدولي والمجلس الأطلسي. كما عملت سابقاً كمحلل للمتعاقدین العسكريين الأمريكيان في أفغانستان، وعملت أيضاً كمديرة للاتصالات في المؤتمر الإسلامي الأمريكي. تنشر أبحاثها على نطاق واسع في مجلات (The New Criterion, Turkish Policy Quarterly, and Middle East Quarterly). عملت أيضاً في الترجمة

والتحليل لمكتب الدراسات والنشر التابع للجيش الأمريكي. حصلت في 1993 على شهادة الماجستير في العلاقات الدولية من جامعة جونز هوبكنز للدراسات الدولية المتقدمة. وهي من مواليد موسكو.

IDRAK
FOR STUDIES & CONSULTATIONS • للدراسات والاستشارات

مدخل

في سبتمبر/أيلول 2015، أقدمت روسيا على نشر قواتها العسكرية في سوريا، محدثة بذلك هزة في مجال العلاقات الدولية، وخالطة بذلك أوراق اثنين من الصراعات المتداخلة: الحرب الأهلية السورية و الحرب الدولية على تنظيم داعش. ومن أجل الوصول إلى فهم كامل للتأثير الذي أحدثه قرار الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، الجريء بالتدخل في سوريا، يعتمد التحليل في هذا الكتاب على الاستفادة من دراسة الماضي، بالإضافة إلى دراسة السياستين الداخلية والخارجية الروسية وتحليل تطوراتهما خلال العقد الماضي، خاصة فيما يتعلق بالدور في الشرق الأوسط.

في 28 سبتمبر/أيلول 2015، خاطب بوتين الجمعية العامة للأمم المتحدة للمرة الأولى منذ عشر سنوات. لم يكن الخطاب مفاجئاً، فبوتين تحدث خلاله عن مواضيع تقليدية؛ مثل الشكاوى المتعلقة بمرحلة ما بعد الحرب الباردة مع الولايات المتحدة وتوسع الناتو، وإلقاء اللوم على الغرب في إثارة الثورات والاحتجاجات في العالم، بالإضافة إلى اتهام أمريكا بالمسؤولية عن التوتر والمشاكل الحالية في الشرق الأوسط.

شرع بوتين بعد ذلك في اقتراح فكرة سعى جاهداً للتسويق لها قبل أسابيع من إلقاء هذا الخطاب؛ فكرته تلك كانت: قيادة روسيا للتحالف الدولي لمكافحة داعش في سوريا¹. خلال تلك الأسابيع، وفي الوقت الذي كانت قوات الأسد تخسر سيطرتها على العديد من الأراضي في سوريا لمصلحة المعارضة، قام الكرملين بالسماح بزيادة الوجود العسكري الروسي في سوريا بشكل كبير، وتكثيف الوجود البحري الروسي في البحر الأبيض المتوسط، فضلاً عن إرسال شحنات إضافية من الأسلحة المتطورة إلى نظام الأسد. وترافق ذلك أيضاً مع تقدم وحدات عسكرية جديدة، وتسلم عدد من الوحدات السكنية بالقرب من مطار اللاذقية².

دعمت موسكو الأسد منذ بداية الانتفاضة السورية في مارس/آذار 2011، وتنوع دعمها ليشمل الأسلحة والمستشارين والقروض، فضلاً عن توفير تغطية سياسية للنظام السوري في مجلس الأمن الدولي. وفي حقيقة الأمر، لم يُخف الكرملين قط نيته باستمرار دعم الأسد وحمائمه دبلوماسياً وإمداده بالأسلحة. ولكن بعد تعزيز الوجود الروسي وخاصة مع انتشار عدد من الفرق العسكرية والقوات الروسية، اقترح الكرملين إحداث تغيير نوعي في المشاركة الروسية في سوريا.

بعد يومين من خطاب بوتين المذكور، وتحديداً في 30 سبتمبر/أيلول، أعلم الكرملين الولايات المتحدة قبل ساعة من شن ضربات جوية في سوريا³. وعلى الرغم من إعلان موسكو أن ضرباتها تلك تستهدف داعش، أشارت العديد من التقارير إلى أن الضربات الجوية استهدفت مناطق تقع خارج مناطق سيطرة التنظيم.

تتنوع الأسلحة الروسية المنتشرة في سوريا؛ ومنها صواريخ مضادة للطائرات SA-22 (Pantsir 1)⁴. وهو ما يشير صراحة إلى أن داعش ليس الهدف الرئيسي للكرملين في سوريا؛ لأن التنظيم لا يملك أي سلاح جوي، وهو ما يعزز فرضية تشير إليها تصرفات روسيا بكثرة أن هدفها من التدخل حماية الأسد فقط وليس محاربة داعش.

لم تبادر روسيا إلى إعطاء كثير من التفاصيل حول خطتها في سوريا، وهو ما خلق احتمالات التصادم وسوء الفهم. انتهك الكرملين المجال الجوي التركي عدة مرات في شهر أكتوبر/تشرين الأول 2015، وفي رد من الأمين العام للناتو، "ينس شتولتنبرج"، على هذه الخروقات، قال في تصريح له: "لا يمكننا التكهّن بدوافع روسيا، لكن هذا لا يبدو أبداً وكأنه حادث، رأينا اثنين من هذه الخروقات، واستمرنا فترة طويلة"⁵.

وبعيدًا عن الخروقات الجوية الروسية للأجواء التركية، قامت المقاتلات الروسية بالتطبيق مرتين قرب طائرات أمريكية دون طيار. ووفقاً لتقييم الولايات المتحدة، فإن الحادث الثاني على الأقل كان متعمداً، وهو ما ذكرته قناة CNN⁶ أيضًا.

وفي تباہ من موسكو بأسلحتها الحديثة، استخدمت روسيا لأول مرة في القتال صواريخ من طراز Kalibr في يوم 7 أكتوبر/تشرين الأول 2015. حيث هاجمت بعض الأهداف في سوريا بعد أن أطلقت هذا الصاروخ من سفن حربية في بحر قزوين على بعد آلاف الأميال. وعلى الرغم من نفي موسكو، فإن العديد من التقارير الصحفية ذكرت انفجار أربعة صواريخ شبيهة في إيران عن طريق الخطأ. وفي 24 نوفمبر/تشرين الثاني 2015، أسقطت تركيا مقاتلة روسية من نوع Su-24، بعد فترة وجيزة من اختراقها المجال الجوي التركي، وفق ما أعلنت الحكومة التركية حينها.

وعلى الرغم من تأكيد بوتين، في عدد من المناسبات، عدم سعي روسيا للقيام بتدخل بري في سوريا، على الأقل "في الوقت الراهن"، إلا أن موسكو ألمحت بقوة، بعد اختراقها المجال الجوي التركي، إلى احتمال إرسال قوات برية "للتطوع" في القتال في سوريا قريبًا⁷. ولكن بعد هذه التلميحات كرر بوتين، في مقابلة مع القناة الروسية الأولى، نفيه وجود أي خطة للكرملين لإرسال قوات برية إلى سوريا⁸.

قد يكون من المفيد لهذه الدراسة الاطلاع على آخر تدخل لموسكو في الشرق الأوسط؛ وهو الذي يعود إلى حرب "يوم الغفران" عام 1973، وهو التدخل الذي انتهى بشكل كارثي. في ذلك الوقت قام الكرملين بإرسال قوات عسكرية إلى مصر لإنقاذ الجيش المصري المحاصر، الذي كان يواجه هجومًا إسرائيليًا، حينها كانت ردة فعل واشنطن قوية، إذ أعلنت تنبيه حرب عسكرية في جميع أنحاء العالم، وأجبرت موسكو على التراجع⁹. لكن هذه المرة اقتصر الرد الأمريكي إلى حد كبير على البيانات، وتمركز مضادات جو-جو أمريكية في قاعدة إنجيرليك التركية بالقرب من الحدود السورية. وهذا الرد ساهم في تضخم شعور بوتين بالثقة في نفسه.

من جهة أخرى، استغلّت العناصر المتطرفة في التمرد السوري خطوة بوتين لتعزيز مكانتها، خاصة مع تناقص الإيمان بإمكانية الوصول إلى حل سلمي فعلي¹⁰. وفي روسيا نفسها، ساهمت هذه الخطوة في تعزيز الراديكالية؛ متسببة في إثارة مزيد من المخاوف لدى المسلمين هناك، على الرغم من أن معظمهم مسالمون¹¹. ولعل أسوأ ما ساهم التدخل الروسي في تعزيزه كان تفاقم أزمة اللاجئين، التي باتت تعد الأسوأ منذ أزمات الحرب العالمية الثانية، خاصة مع مزيد من المواطنين السنة الفارين من سوريا منذ بدء التدخل العسكري الروسي هناك¹². هذه التطورات بدورها عززت استراتيجية الأسد في تهجير السكان، وهي استراتيجية يدركها بوتين جيدًا، بالنظر إلى مثيلاتها في التاريخ الروسي، والتي قام بها ستالين والقيصرة وغيرهم.

ساهمت هذه الأحداث في تعزيز الاهتمام بالدور الروسي في سوريا والشرق الأوسط. ومن ثم، فإن هذه الدراسة توفر إطاراً نظرياً للأنشطة الروسية في المنطقة، وتقدم شرحاً كافياً لطريقة وصول السياسة الروسية في الشرق الأوسط إلى هذه النقطة، مع تركيز أكبر على الدور الروسي في الشرق الأوسط انطلاقاً من مايو/أيار 2000، حين تولى بوتين رسمياً السلطة في روسيا، معيذاً بلاده إلى الواجهة بعد غيابها القصير بعد انتهاء الحرب الباردة وانهايار الاتحاد السوفييتي.

تاريخياً لم يحظ الشرق الأوسط باهتمام روسيا لذاته، بقدر ما استخدمته روسيا للحصول على مكاسب محتملة ضد الغرب، أو لتحسين الوضع الداخلي الخاص بها. روسيا لم تعد لقوة العظمى نفسها التي كانت عليها خلال الحرب الباردة، حين حافظت على حضور إقليمي كبير. في عهد بوتين،

ركزت روسيا في المقام الأول على الدعم السياسي والدبلوماسي لحلفائها الرئيسيين عبر الأسلحة والطاقة والتجارة والسلع. ومع ذلك فإن الشرق الأوسط لا يزال هماً، وروسيا لا تحتاج فعل الكثير حتى تؤكد نفوذها فيه، خاصة في سياق ينظر إلى تراجع التأثير الغربي في المنطقة.

في عهد بوتين حافظت روسيا على علاقات جيدة مع جميع دول الشرق الأوسط تقريباً، سواء الحلفاء أو الخصوم التقليديين منهم. في الفصول الثلاثة الأولى يركز الكتاب على السياق المحلي الروسي ورد فعل الكرملين على الانتفاضات التي تلت انهيار الاتحاد السوفيتي، والربيع العربي، وروسيا نفسها. هذا السياق يشكل فكرة حاسمة في شرح طريقة عمل وتفكير الكرملين في الشرق الأوسط. وفي حين أن السياسة الداخلية تؤثر عمومًا في السياسة الخارجية لأية دولة، يتميز الكرملين في كثير من الأحيان بعدم توضيح الخطوط الفاصلة بين السياستين¹³. وهذا التقييم ينطبق جزئيًا على بوتين أيضًا؛ لأنه بات مشهورًا بعدائه لأمريكا والغرب. الفصول المتبقية من الكتاب تغطي تفاصيل علاقات روسيا مع أربعة من حلفائها في المنطقة، وخاصة الجهات الفاعلة منها: مصر وإيران والعراق وسوريا، وتشمل التحليلات كذلك علاقات روسيا مع الأردن ودول مجلس التعاون الخليجي وإسرائيل وتركيا.

DRAK

للدراسات والاستشارات • FOR STUDIES & CONSULTATIONS



الفصل الأول: صعود بوتين

في القرن التاسع عشر، بدأت روسيا القيصرية تأكيد اهتمامها الجيوستراتيجي والاقتصادي والديني والثقافي بالشرق الأوسط بحكم المنافسة مع الغرب. عملت موسكو على تكوين روابط وعلاقات دبلوماسية وثقافية لا سيما مع سوريا وفلسطين؛ وذلك لإنشاء مراكز قوة ونفوذ يمكن أن تعتمد عليها في وقت لاحق للحصول على الدعم. وبنفس سياق التنافس مع الغرب، وخاصة الولايات المتحدة، تمتع الاتحاد السوفييتي خلال سنواته الخمسين بحضور قوي في الشرق الأوسط، وتجذر في تشجيع الجهات الفاعلة الإقليمية لتطبيق أجندة معادية للغرب، وفي عام 1991، بعد انهيار الاتحاد السوفييتي وجدت روسيا الناشئة حديثاً نفسها أمام مجموعة مختلفة تماماً عن أولويات من سبقها.

ميراث يلتسين

حينما اختير بوريس يلتسين أول رئيس ديمقراطي منتخب لروسيا، كانت روسيا قد تراجعت من موقفها القوي كقوة عالمية عظمى، وأصبحت الدولة التي تسودها الفوضى والضعف السياسي والعسكري والاقتصادي، ومن ثم كان تركيز يلتسين في اهتماماته على معالجة الاضطراب السياسي والاقتصادي الداخلي، بالإضافة إلى التعامل مع الحكومة الضعيفة والمفككة، فضلاً عن الحرب مع جمهورية الشيشان الانفصالية. وفيما يتعلق بالسياسة الخارجية، ركزت روسيا علاقاتها بشكل رئيسي مع الولايات المتحدة وأوروبا والبلدان التي نشأت حديثاً بعد انهيار الاتحاد السوفييتي¹⁴.

وخلال فترتي حكم يلتسين، من 1991 حتى 1999، خفضت روسيا حضورها في الشرق الأوسط باستثناء تركيا وإيران¹⁵. شخصياً كان يلتسين عديم الفائدة في الشرق الأوسط، بل كان بصفة عامة مؤيداً لأمريكا هناك¹⁶، ومتبنياً لنهج براغماتي مدفوعاً بالاعتبارات المحلية الروسية الداخلية¹⁷. هذا بالإضافة إلى تأثير المشاكل الداخلية في روسيا على قرارات الكرملين بعدم تبني صيغة واضحة تجاه السياسة في الشرق الأوسط. وما إن دخلت روسيا فترة الانفتاح السياسي والاقتصادي، حتى عانى يلتسين من تدهور صحته البدنية وضعفه السياسي كذلك.

وبدلاً من التحول نحو الديمقراطية الحقيقية، سقطت روسيا في مستنقع حالة منالفوضى العميقة تمثلت معالمه في التضخم والفساد والحرب مع الشيشان، واتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء وما ترافق معها من إحياء سياسة القوة الشخصية¹⁸. ونتيجة لذلك، قاد التضارب بين المصالح والتنافس فيما بينها روسيا إلى تحديد دورها في الشرق الأوسط خلال فترتي حكم يلتسين¹⁹.

الجدير بالذكر هنا، أن في الفترة التي امتدت بين عامي 1996 و1998 عمل المستعرب ومدير جهاز الاستخبارات السابق، يفغيني بريماكوف، وزيراً للخارجية، حيث أخذ هذا الوزير موقفاً أكثر صرامة ضد الغرب من مؤيدي يلتسين. وفي سبتمبر/أيلول 1998، مع اقتراب نهاية ولاية يلتسين، تم تعيين بريماكوف رئيساً للوزراء استجابة لضغوط برلمانية مورست على يلتسين²⁰، وصولاً إلى العام 2000، حين تولى فلاديمير بوتين رئاسة روسيا، ليرثها في ضعف أشد من ذي قبل من جراء تطورات العقد السابقة. المواطنون الروس الذين آمنوا بآفاق الديمقراطية في بداية التسعينات، كانوا مستائين ويبحثون عن الاستقرار قبل أي شيء²¹. هذا بالضبط ما وعد بوتين بتحقيقه، بالإضافة إلى استعادة مكانة روسيا باعتبارها قوة عالمية رئيسية ومؤثرة.

شمالي القوقاز والإرهاب المحلي

استقال بوريس يلتسين من رئاسة روسيا في 9 أغسطس/آب 1999، ليتم تعيين ضابط المخابرات غير المعروف، فلاديمير بوتين، رئيساً للوزراء ويشغل منصب القائم بأعمال الرئيس الروسي في انتظار إجراء الانتخابات الروسية في 26 مارس/آذار 2000. عند هذه النقطة بالتحديد، كانت روسيا قد خاضت حرباً انفصالية واحدة في شمالي القوقاز مع الشيشان على مدى السنوات من 1994 حتى 1996. حرب تميزت موسكو فيها بالقيام بانتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان، وتحول حركة المقاومة القومية الشيشانية، التي كانت قد نشأت كواحدة من القوى العلمانية، إلى الاتجاه الإسلامي المتشدد مع العناصر الجهادية²².

في سبتمبر/أيلول 1999، وبعد تعيين بوتين بمنصب رئيس الوزراء، هزت سلسلة من التفجيرات مدن موسكو وفولغودونسكوبويناكسك؛ ما أسفر عن مقتل وإصابة المئات ونشر الخوف في جميع أنحاء البلاد²³. سارع بوتين حينها إلى إلقاء اللوم على المسلحين الإسلاميين في الشيشان، وسارع إلى إعلان حرب ثانية ضد الشيشان، سرعان ما امتدت إلى دولة داغستان المجاورة. الكثير من تفاصيل هذه الأحداث المأساوية، بما في ذلك المسؤولون عن تلك التفجيرات، لا تزال غير معروفة، ومحل نزاع في موسكو التي أوقفت التحقيق من جهتها دون الوصول إلى الفاعلين²⁴. في الوقت نفسه تولى بوتين رسمياً منصب القائم بأعمال الرئيس في 31 ديسمبر/كانون الأول 1999.

وخلال الفترة التي سبقت انتخابات مارس/آذار 2000، لم يشارك بوتين في أي من الحملات الانتخابية أو المناظرات التي سبقتها، ومع ذلك طغت صورته في وسائل الإعلام²⁵، في تركيز شديد خلال حملته العسكرية التي استغرقت 3 أشهر في الشيشان، بالإضافة إلى الحملة على الحدود الروسية المضطربة، تقدمت حملة بوتين سيئة السمعة تحت شعار "mochit v sortire" بمعنى "تصفيتهم في المبنى الخارجي"؛ في إشارة إلى الإرهابيين. وفي يوم الانتخابات، تمكن بوتين من الفوز بهامش ضيق في الجولة الأولى بعد حصوله على 52.94% من أصوات الناخبين. لكن بعض المحللين يذهبون إلى أن 2.2 مليون صوت كُفلت تقدم بوتين في الانتخابات كانت أصواتاً مزيفة²⁶.

في الوقت نفسه عمل بوتين على تعزيز موقفه في روسيا مستغلاً حربه على الإرهاب في شمالي القوقاز، وهي التي ساعدت في تعزيز شعبيته بين الناخبين، فبعد أن كانت 30% في أغسطس/آب 1999 وصلت إلى 80% في نوفمبر/تشرين الثاني 1999²⁷.

على صعيد آخر، وجدت وعود بوتين بالاستقرار صدىً جيداً لدى المواطنين الروس المهتمين والفاقدين للأمل. ففي المئة يوم الأولى من توليه منصبه الجديد، أسس بوتين الدمج العمودي "الرأسي" للقوة، دمجاً بين لامركزية السلطة الرئاسية والسلطة الاتحادية، وبدأ مباشرة بتقليص حرية الصحافة²⁸، وهذه الخطوة بالذات تمت بشكل تدريجي وعبر خطوات صغيرة؛ ونتيجة لذلك لم يستطع الغرب تفسير هذه الإجراءات بشكل دقيق، وتجاهل الغربيون انتقاد بوتين مبكراً على موجة الارتداد الديمقراطي هذه²⁹.

الفصل الثاني: العودة إلى الشرق الأوسط

سريعًا بعد انتخابه في مايو/أيار 2000، أوجز بوتين السياسة الخارجية الجديدة لروسيا، والتي ظهرت عليها معالم التغيير عمّا كانت عليه في سنوات يلتسين. نأى بوتين بنفسه بعيدًا عن اضطرابات التسعينيات، وألقى بكامل اللوم على الغرب بدعوى أنه من تسبب بمشاكل بلاده في تلك الفترة.

وفي 10 يناير/كانون الثاني من عام 2000، وفي الوقت الذي كان بوتين فيه ما يزال رئيسًا مؤقتًا، وافق بوتين على مفهوم الأمن القومي للاتحاد الروسي، والذي يشير إلى "محاولة إنشاء بنية علاقات دولية قائمة على هيمنة الدول الغربية في المجتمع الدولي، بقيادة الولايات المتحدة، والمصممة للحلول أحادية الجانب (بشكل أساسي تعتمد على الحل العسكري) للقضايا الرئيسية في السياسة العالمية بما يساعد في الاحتياط على القواعد التأسيسية للقانون الدولي"³⁰، وتضيف الوثيقة في موضع آخر "هناك العديد من الدول التي تعمل جاهدة لإضعاف روسيا سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا، وبمختلف الأشكال"، وتحدد الوثيقة أيضًا توسع الناتو كواحد من بين التهديدات الرئيسية في المجال الدولي³¹.

نهج متعدد العوامل

يعتمد مفهوم الأمن القومي هذا على "عالم متعدد الأقطاب" مرتبط أساسًا بسياسة روج لها بريماكوف في تسعينيات القرن الماضي، ويسوقها الكرملين حتى يومنا هذا، وعلى دور روسيا على اعتبار أنها "واحد من مراكز النفوذ" ضمن هذا العالم. بالإضافة إلى ذلك، فإن تهديدات الأمن القومي الروسي، وفقًا لمفهوم الأمن القومي، "تتجلى في محاولات الدول الأخرى تعزيز قوتها لتصبح واحدًا من مراكز النفوذ في العالم متعدد الأقطاب ذلك، وهو يتطلب عرقلة تحقيق مصالحها الوطنية، وإضعاف مكانتها في أوروبا والشرق الأوسط وآسيا الوسطى وعبر القوقاز والمحيط الهادئ ومناطق آسيا". هذا النهج الجديد أشار أيضًا إلى المطالبة بالاعتراف بالمصالح المشروعة المميزة لروسيا فيما يسمى الخارج القريب؛ وهو ما يمكن أن يسمى بشكل عام "روسكي مير" "العالم الروسي" الممتد في جميع أنحاء دول الاتحاد السوفييتي سابقًا.

هذه التطورات تشكل عاملًا مهمًا وحاسمًا في فهم النهج الروسي في السياسة الخارجية، وعلى وجه التحديد النهج الروسي في الشرق الأوسط. فهم؛ أي الروس، سلطوا الضوء على هذا منذ البداية، والكرملين في عهد بوتين ينظر إلى الغرب على أساس العداء وانعدام الثقة، لا سيما في ضوء ما ينظر إليه الغرب على أنه محاولات لتغيير الوضع الراهن في أي مكان معين. وفي هذا السياق، يهدف الكرملين إلى وضع روسيا في موقف معارضة الغرب، وتأكيد أهمية احترام سيادة الدولة، وهذه من مفاهيم القوى العظمى المرتبطة بالقرن التاسع عشر، ورفض إجماع النظام الدولي القائم والمعتمد على قانون مجلس الأمن الدولي الحالي، يشكل تحديًا فريدًا من نوعه للنظام العالمي الناشئ بعد الحرب العالمية الثانية.

جزء لا يتجزأ من تحدي بوتين يتمثل في إنكار أي أمر من هذا القبيل، فيما يعتبر تمويهًا عبر تأكيد المصالح المميزة لأمريكا و"الفريدة من نوعها". في الشرق الأوسط، سعى بوتين إلى استعادة روسيا كقوة عظمى في سياق تجديد الصراع الصفري المضاد للغرب. وبالإضافة إلى استعادة النفوذ السياسي، سعى بوتين إلى نقل روسيا إلى مرحلة ووضع المنافس للولايات المتحدة وهيمنتها المزعومة، من خلال التركيز العالي على المصالح التجارية الروسية: الأسلحة والطاقة (النفط والغاز) والمبيعات، فضلًا عن السلع ذات التقنية العالية مثل المفاعلات النووية³².

في الواقع، أعادت موسكو تعريف أولوياتها في الشرق الأوسط في يناير/كانون الثاني من العام 2000 عبر مفهوم السياسة الخارجية، وكان ذلك متمثلاً في "استعادة وتعزيز المواقف الاقتصادية الروسية على وجه الخصوص، وتسليط الضوء على استمرار تطوير العلاقات مع إيران"³³.

عزز استعادة الحضور الروسي في المنطقة التعاون مع كل من القوى المضادة والمؤيدة للولايات المتحدة هناك؛ وهذا يعني دعم إيران في برنامجها النووي، وشطب ديون سوريا التي قاربت 13 مليار دولار، وإزالة القيود على تصدير التقنيات الكيميائية والبيولوجية، إلى جانب تعزيز العلاقات الثنائية الموسعة مع تركيا ومصر وإسرائيل والمملكة العربية السعودية³⁴. على هذا الصعيد، زاوجت موسكو بين سياسة مبيعات الأسلحة ومصالحها السياسية الخارجية. وهذا دفع نائب رئيس مجلس الوزراء الروسي في 11 ديسمبر/كانون الأول 2013، ديمتري روغوزين، إلى القول إن مبيعات الأسلحة الروسية هي العنصر الأكثر أهمية في تحديد علاقتها مع الدول الأخرى³⁵.

خلاصة القول، منذ سنواته الأولى في منصبه، تبنى بوتين باستمرار ما يلي فيما يتعلق بالشرق الأوسط: حماية السيادة (التي تظهر على أنها مرادفة للوحدة) حتى حينما يتناقض ذلك مع ما وقعته روسيا من التزامات منصوص عليها في كيانات مثل منظمة الأمن والتعاون في أوروبا (OSCE)، والمحافظة على المكاسب الاقتصادية، وفي المقام الأول الأسلحة وتجارة الطاقة، بالإضافة إلى توسيع النفوذ الروسي على حساب الغرب.

في ديسمبر/كانون الأول 2002، قال وزير الخارجية الروسي حينها، إيغور إيغانوف، في مقابلة صحفية: "يبدو أن هذا هو العام الذي سيشمل إنجازنا للعديد من اللمسات النهائية على السياسة المتعددة التوجهات، وهي التي تركز على الاتجاهات الجغرافية المختلفة والأولويات الإضافية، بدلاً من التناقضات"³⁶. ولمواجهة الصورة السلبية التي تحظى بها روسيا في الغرب، قال الوزير: "أعتقد أن صورة الفقراء أو المال المرتبط بالمافيا، وما يجري من ربط ذلك بروسيا، تم خلقه عمدًا في الغرب في حقبة التسعينيات، وهو آخذ بالانحسار تدريجيًا الآن"³⁷. وفي ديسمبر/كانون الأول 2003، كتب ألكسندر ياكوفينكو، مدير إدارة الإعلام والصحافة في وزارة الشؤون الخارجية، مقالًا في صحيفة الكرملين الرسمية قائلًا: "لن تحل مشكلة دولية في العالم اليوم دون مساهمة روسيا في ذلك"³⁸.

روسيا كحضارة فريدة

هناك نقطة إضافية تستحق منا الاهتمام في فهم نهج روسيا في الشرق الأوسط، في 30 ديسمبر/كانون الأول 1990، وقبل يوم واحد من أن يتولى بوتين مسؤولية القائم بأعمال الرئيس، ظهرت وثيقة نسبت إلى بوتين على الموقع الإلكتروني للحكومة، وحملت عنوان "روسيا في مطلع الألفية"³⁹. ومن بين النقاط المركزية في هذه الوثيقة أن روسيا دولة فريدة من نوعها بالقيم، لكنها تواجه خطر فقدان وحدتها⁴⁰. وجهة النظر هذه، بالإضافة إلى تهديدات الوضع الراهن، لا تزال أساسية في تحديد سياسات الكرملين في الشرق الأوسط حتى الآن.

وعلى مر السنين واصل بوتين الاجتهاد في الخطب والتصريحات، في محاولة للتركيز على أن هذه الصورة لروسيا خاصة ولكنها في خطر، ولا سيما أن الدولة تقف معارضة في وجه القيم الثقافية الغربية، التي وصفها الكرملين بالأخلاق الفاسدة. في حين أكدت الكنيسة الأرثوذكسية خصوصية روسيا في هذا المجال أيضًا⁴¹.

تعززت هذه الرؤية من خلال الدولة المركزية القوية على حساب الحقوق الفردية، وبجانب الإيمان بأن الديمقراطية على الطراز الغربي لن تنجح في روسيا، تأتي القنوات حول الشرق الأوسط في هذا الشأن، بشيء يشبه التبرير أن التجربة الديمقراطية الخارجية محكوم عليها بالإخفاق. وفي الواقع، قدم بوتين روسيا للشرق الأوسط كحضارة تتوسط الشرق والغرب، ومن ثم يمكنها (أي روسيا) أن تكون كالجسر للانتقال بين مرحلتين⁴².

واحتج بوتين أيضًا "بفرادة" روسيا للإمعان في إيجاد تغطية "ديمقراطية" للدكتاتوريات المحلية بما في ذلك الشرق الأوسط⁴³. كتب محرر الرأي مايكل بوم في صحيفة موسكو تايمز في سبتمبر/أيلول 2013، مقالًا بعنوان "في عهد بوتين"، اعترف فيه الكاتب بنفاق الكرملين، - كاتب المقال ظهر داعمًا لتوجه بوتين بمحاربة أميرك، ومؤلفة الكتاب استخدمت المقال لإدانة الكرملين- : "لقد أصبحت مهمة روسيا الوحيدة هي التقليل من واشنطن ووضعها في مكانها الصحيح عن طريق إدانة ازدواجيتها السافرة في المعايير، وانتهاكات حقوق الإنسان وتدخلها في السياسة الدول الخارجية والداخلية"⁴⁴. مطلع عام 2000، وخلال مناقشة سياسة روسيا في شمالي القوقاز، أوضح بوتين أن الخوف من انهيار روسيا هو ما قاده في اتخاذ قراراته. وقال بوتين: "ما الوضع الآن في شمالي القوقاز والشيشان اليوم؟ إنه استمرار في انهيار الاتحاد السوفيتي. هذا ما رأيت الوضع عليه في أغسطس (آب) 1999 حين هاجمت العصابات داغستان، وإذا لم نضع حدًا فورًا لهذا، فإن روسيا ستزول من الوجود، فالأمر هنا مرتبط بمنع انهيار البلاد"⁴⁵.

لاحقًا، رثى بوتين تفكك الاتحاد السوفيتي باعتباره واحدًا من أعظم المآسي الجيوسياسية في القرن العشرين، وكانت النتيجة أن "عشرات الملايين من مواطنينا وجدوا أنفسهم خارج الأراضي الروسية، انخفضت المدخرات الشخصية ودمرت المثل القديمة"⁴⁶. كما كتب أحد الخبراء الروس البارزين في أكتوبر/تشرين الأول 2013 قائلاً: "وحتى يومنا هذا، يعطي الكرملين انطباعًا في بعض الأحيان بأنه لم يع جيدًا الفرق بين الاتحاد السوفيتي والاتحاد الروسي، وعدم إيقانه استحالة عكس التاريخ"⁴⁷.

هذا لا يعني أبدًا أن الكرملين يسعى إلى استعادة الاتحاد السوفيتي، وإنما بدلًا من ذلك فإنه يسعى إلى تسليط الضوء والربط بين الوحدة في روسيا والاستقرار في أيام الاتحاد السوفيتي والتهديد المباشر الحالي من قبل الغرب. كرر بوتين هذه النظرية عدة مرات خلال أعوامه الخمسة عشر في السلطة، بما في ذلك ما قاله في المنتدى الاقتصادي الدولي الذي عقد في يونيو/حزيران 2015 بسان بطرسبرغ الروسية. قال حينها بوتين إنه بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ذهب العالم ثنائي القطب في غياب النسيان؛ وهو ما دفع الولايات المتحدة إلى حالة من "النشوة"، بحيث تصورت أن هناك فراغًا عليها ملؤه في أوروبا الشرقي. ووفق بوتين فقد عززت الولايات المتحدة وجود الناتو شرقًا إلى حدود روسيا، وبدأت باستكشاف "مساحات جيوسياسية" كما هو الحال في الشرق الأوسط وأوكرانيا⁴⁸.

تصاعد الإرهاب الداخلي وحملة الناتو على ليبيا

في 23 أكتوبر/تشرين الأول من عام 2000، سيطرت مجموعة من المسلحين الشيشان على أحد المسارح في موسكو في شارع دوبروفكا، وطالبوا بانسحاب الروس من الشيشان وإنهاء الحرب هناك. سيطر المسلحون على ما يصل إلى 1000 رهينة، على الرغم من إفراجهم عن بعض الرهائن (غير الروس في المقام الأول)، بالإضافة إلى النساء الحوامل والأطفال. جاء هذا الحدث ليعرف لاحقًا

باسم " حصار نورد أوست " نسبة إلى المسرحية التي كانت تمثل في ذلك الوقت. وفق استطلاعات الرأي، دعم معظم الروس مطالب المسلحين، بل إن بعضهم تعجب من اعتدال هذه المطالب⁴⁹.

بعد عدة أيام، اقتحمت القوات الروسية المبنى، وتمكنت من قتل جميع المسلحين الذين فقدوا وعيهم نتيجة استخدام القوات الروسية لغاز مخدر، لكن العملية وصفت بالفاشلة؛ نتيجة تسببها بمقتل ما يصل إلى 130 رهينة؛ وذلك لأن الأطباء لم يعرفوا نوع الغاز الذي تم استخدامه، ومن ثم لم يستطيعوا التعامل بشكل فعال مع حالات الجرحى، وبدلاً من الممرضات قام رجال الشرطة بمهام الإسعاف.

اهتمت الحكومة الروسية بالسرية أكثر من أي شيء آخر خلال هذه العملية، بما في ذلك حياة المواطنين المحتجزين أنفسهم. وغني عن القول أن الحكومة الروسية ما تزال تتجنب الحديث أو تحمل المسؤولية عن هذه الخسائر، مدعية أنها لم تملك أي خيار لمنع وقوع هذه الخسائر⁵⁰. ولم تقم الحكومة الروسية أيضًا بأي تحقيق يتعلق بدور السلطات الروسية في إنقاذ الرهائن، أو إخفاؤها في منع الهجوم في المقام الأول، وبدلاً من ذلك عكس الكرملين تعنت بوتين في المسألة بعد أن منح مدير العملية، نائب مدير جهاز الأمن الاتحادي الروسي، فلاديمير برونيشيف، لقب " بطل روسيا ".

في ديسمبر /كانون الأول من العام 2011، أكدت المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان المنعقدة في ستراسبورغ أن السلطات الروسية لم تقم بما يكفي لإتمام عملية الإنقاذ بشكل صحيح⁵¹؛ وهو ما دفع المحكمة إلى تغريم الحكومة الروسية بمبلغ وصل إلى 1.6 مليون دولار؛ لانتهاكها حق الرهائن بالحياة بعد تنفيذ السلطات الروسية لعملية الإنقاذ الفاشلة. وجاء هذا الحكم بعد أن رفع أقارب 64 من الضحايا قضايا لمحاكمة الحكومة الروسية. وفي حين وجدت المحكمة أن الحكومة الروسية لم تخطئ في استخدامها الغاز، لكنها انتقدت " عدم كفاية التخطيط وسير عملية الإنقاذ "، بالإضافة إلى " تقاعس السلطات عن إجراء تحقيق فاعل " في الأحداث⁵². وأشارت تقارير تعود لعام 2014 إلى أن الضحايا لم يتلقوا أي دعم أو توجيه من قبل الحكومة الروسية؛ سواءً قبل تنفيذ العملية أو حتى بعد أن انتهت⁵³. يصادف الأول من سبتمبر/أيلول اليوم الأول في المدارس في جميع أنحاء روسيا، يحتفل الأطفال والآباء والأمهات والأقارب والمعلمون ببدء العام الدراسي؛ ولذا فإن هذا اليوم يملك أهمية خاصة تختلف عن باقي أيام الدوام المدرسي. في الأول من سبتمبر/أيلول 2004، اقتحم بعض المسلحين مدرسة رقم 1 في مدينة بيسلان في أوسيتيا الشمالية، وقاموا باحتجاز ما يصل إلى 1100 رهينة معظمهم من الأطفال، داخل صالة الألعاب الرياضية في المدرسة لمدة 52 ساعة، في ظل ظروف مروعة. اقتحمت القوات الروسية المدرسة في نهاية المطاف وحررت الرهائن، لكن أكثر من 350 قتلوا خلال هذه العملية معظمهم من الأطفال، مع ذلك لم تتفق التقارير على العدد الدقيق للضحايا. وترجع العديد من التقارير أيضًا أن المسلحين كانوا من الشيشان وأنغوشيا، وطالبوا بانسحاب القوات الروسية من الشيشان.

وكما هو الحال في قضية الرهائن بشارع دوبروفكا السابقة، بقيت الكثير من الأسئلة حول هذه المأساة بلا أي إجابة. بوتين رفض بغضب طلبًا لإجراء تحقيق حول سبب سقوط هذا العدد الكبير من الرهائن قتلى. وحينما سئل من قبل الصحفيين عن سبب رفضه إجراء تحقيق علني حول الحادثة، سارع بوتين إلى المساواة بين هذا الحادث وحوادث الإرهاب التي تتعرض لها الولايات المتحدة. وفي الشهر نفسه الذي وقع فيه الهجوم، وجه بوتين كلمات عنيفة للصحفيين والأكاديميين الغربيين خارج موسكو، حيث قال: "لماذا لا تلتقون بأسامة بن لادن؟ ادعوه إلى بروكسل أو إلى البيت الأبيض، أسأله ماذا يريد وأعطوه طلباته واتركوه يغادر بسلام!"، وأضاف أيضًا: "هل تظنون أنه من الممكن أن نضع بعض القيود في تعاملنا مع هؤلاء الأوباش، كيف نتحدث مع قتلة الأطفال؟"⁵⁴. قد يحاول

بوتين كثيرًا ربط التحديات الإرهابية التي تواجهها روسيا بتلك التي تواجهها الولايات المتحدة، لكنه نسي أمرًا هامًا أن تحديات الولايات المتحدة كانت دومًا واضحة وشفافة، أما التحديات الروسية فكانت مبهمة.

وبعد 3 أيام من ذلك الهجوم، وتحديدًا في 4 سبتمبر/أيلول، ألقى بوتين خطابًا يشير فيه إلى سياسة خارجية أصعب من ذي قبل: "لم نول مطالب الدفاع والأمن ما تستحقه من اهتمام، وسمحنا للفساد بتحديد قانوننا القضائي ونظامنا التنفيذي. علاوة على ذلك، كانت دولتنا سابقًا تملك نظام الدفاع الأقوى على طول حدودها الخارجية... وبين عشية وضحاها وجدت نفسها في عزلة من الشرق أو الغرب على حد سواء... لقد أظهرنا أنفسنا في موقف ضعف، والضعيف دومًا يتلقى الضربات. قد يحلو للبعض أن يمن علينا بجزء من قطعة الحلوى بعد تقسيمها. الآخرون يساعدونهم، لكن روسيا لا تزال واحدة من الدول النووية الرئيسية في العالم. وعلى هذا النحو، ما نزال نمثل تهديدًا حاسمًا لهم. ووفق هذا، فإنهم يتعاملون مع هذا التهديد من منطق الاستئصال، الإرهاب بطبيعة الحال هو جزء من الأدوات المستخدمة لتحقيق هذا الهدف، أنا واثق من عدم امتلاكنا لأي خيار حقيقي.... ما نتعامل معه ليس معزولًا عن الأعمال التي تهدف لتخويفنا، هذه ليست هجمات إرهابية معزولة، ما نواجهه هو تدخل مباشر عبر توجيه إرهاب دولي ضد روسيا"⁵⁵.

استغل بوتين هذه الأحداث من أجل تعزيز قبضته على السلطة، وأمعن في إضعاف المجتمع المدني الروسي، واتخذ أيضًا موقفًا أكثر تشددًا تجاه الغرب وسط معارضته لحرب العراق. وعزز بوتين من سيطرته المركزية على روسيا، بالإضافة إلى توظيف القضاة وإقالتهم، فضلًا عن تعيينه حاكم الأقاليم بشرط تأكيدهم ولاءهم للرئيس قبل انتخابهم كما كانوا منذ 1996⁵⁶.

بالتوازي مع ذلك، قام بوتين بتعزيز شركة الغاز المملوكة للدولة غازبروم ((Gazprom وشجع أعمالها النفطية، وواصل حملته القمعية ضد العلماء والأكاديميين والإعلاميين⁵⁷. وفي نهاية الأمر، أصبح إصدار أي تقرير متعلق بالشيشان أمرًا مستحيلًا⁵⁸. ومع تدهور العلاقات مع الغرب إثر حرب العراق، تحول بوتين أكثر نحو الشرق الأوسط على نحو متزايد (كما هو مبين في الفصول اللاحقة).

وعلى الرغم من أن الحكومة الروسية لجأت في نهاية المطاف إلى إجراء تحقيق محدود في حادثة بيسلان، إلا أن اللجنة المشكلة ضمت عددًا كبيرًا من مؤيدي بوتين، واقتصرت التحقيقات على سرية عالية. وعندما أعلنت نتائجها أخيرًا في ديسمبر/كانون الأول 2006، برأت اللجنة قوات الأمن من أي مسؤولية عن الضحايا الذين وقعوا نتيجة الحادث، وليس من المستغرب أن يكون عدد قليل من المسؤولين الروس من بيسلان راضين عن التحقيق⁵⁹.

جاءت نقطة تحول أخرى في وقت لاحق عام 2011، عندما تحدث بوتين ضد تدخل حلف شمال الأطلسي في ليبيا ضد الدكتاتور الليبي معمر القذافي⁶⁰. يمكن العثور على هذا السياق في 17 مارس/أذار من عام 2011، حيث مرر مجلس الأمن قرارًا يحمل رقم 1973، يحوي على نص "جميع التدابير الضرورية" لحماية المدنيين تحت ميثاق الأمم المتحدة والبند السابع "مع استبعاد احتلال أي قوة أجنبية لأي جزء من الأراضي الليبية". أيد القرار 10 دول⁶¹ في حين امتنعت 5 دول عن التصويت وكانت روسيا بينها. وزعم أنصار القرار أن حماية المدنيين هو "الهدف الوحيد"، على أساس أن القذافي قام بتكثيف العنف ضد المدنيين بعد الإجراءات العقابية السابقة والحظر على الأسلحة. ونظرًا لأن هذا الاستفزاز كان لا يطاق "تزايد العنف ضد المدنيين"، فإن رد فعل المجتمع الدولي كان هكذا في شبه إجماع. هذا ما قاله ألاجوببييه، الممثل الفرنسي في مجلس الأمن، خلال اجتماع المجلس لمناقشة مشروع القرار. ويضيف الممثل الفرنسي أن مشروع القرار يتيح للناتو استخدام

كافة الوسائل لحماية السكان المدنيين، بما في ذلك إنشاء منطقة حظر جوي، وفتح للدول الأعضاء والدول العربية اتخاذ الإجراءات اللازمة لتنفيذ أحكام القرار⁶².

السفير الروسي في الأمم المتحدة، فيتالي تشوركين، بين الأسباب التي دفعت روسيا إلى الامتناع عن التصويت على القرار؛ بسبب خوفها من احتمال وصول الأمر إلى التدخل العسكري في نهاية المطاف⁶³. وفي 17 مارس/آذار بين السفير أنه "في الجوهر، هناك مجموعة كاملة من الأسئلة التي طرحتها روسيا وغيرها، ولم تقم الدول الأعضاء في المجلس بالإجابة عنها. هذه الأسئلة كانت ملموسة وشرعية وتتطرق إلى كيفية فرض منطقة حظر جوي، وما هي طبيعة قواعد الاشتباك، وما القيود التي ستستخدم هناك. وعلاوة على ذلك، كان المشروع يتحول أمام أعيننا ويتجاوز المفهوم الأولي الذي ذكر وقدمته الجامعة العربية في مقترحها. أدخلت بعض الأحكام في النص الذي يحتمل أن يفتح بابًا أمام التدخل العسكري واسع النطاق في ليبيا. وخلال المفاوضات على المشروع استمعت إلى بيانات تدعي عدم وجود أي نية للوصول إلى هذا الحد"⁶⁴.

انتقد بوتين وميدفيديف القرار علنًا بشكل لم يسبق له مثيل؛ فبوتين عارض بشدة وميدفيديف أعطى نظرة أكثر تعاطفًا. بوتين صرح بشكل واضح: "هذا القرار معيب؛ إنه يسمح بكل شيء، ويشبه دعوات الحملات الصليبية في العصور الوسطى"⁶⁵.

وصف ميدفيديف لاحقًا تصريح بوتين "بغير المقبول"⁶⁶، مدعيًا أن القرار لم يحمل أي مفاجآت للجانب الروسي. وأضاف: "سيكون من الخطأ بالنسبة لنا أن نتشكك الآن ونقول إننا لم نكن نعلم ما كنا نعلم". وأضاف في مؤتمر صحفي عقده في 21 مارس/آذار: "كان هذا الامتناع قرارًا واعيًا من جانبنا"، وأضاف أنه يعتبر أن القرار 1973 خطأ، وأن القرار في الواقع لا يعكس التوجه الروسي نحو الحل في ليبيا⁶⁷. مشيرًا إلى أن التدخل العسكري في ليبيا أمرٌ لن تسمح روسيا به⁶⁸.

ووفقًا لمجلة الإيكونوميست، فبعد تصريحات بوتين وميدفيديف تحولت القناة الأولى الروسية بين عشية وضحاها من تصوير القرار بأنه عدوان غربي لإسقاط حكومة شرعية تحت غطاء حماية المدنيين، إلى تصوير القذافي باعتباره شريرًا كاذبًا. وفي وقت لاحق، حاولت القناة تجاهل ليبيا تمامًا⁶⁹. لكن بوتين على ما يبدو ستكون له الكلمة الأخيرة، ففي يناير/كانون الثاني 2013، بث التلفزيون الروسي فيلمًا بمدة ساعة واحدة عن "لعبة الهبات"⁷⁰. نشر البرنامج وجهة نظر ميدفيديف وكأنها من جانب واحد، حيث ظهر أن مصالح روسيا قد بيعت وأن في الأمر خيانة لليبيا، بحيث سمح لحلف شمال الأطلسي بتدمير سيادة ليبيا، وهو البلد المشابه جدًا لروسيا، البلد الذي حوله القذافي إلى جنة افتراضية، وهو ما جعل بوتين يعزز العلاقات مع ليبيا والقذافي. يظهر الفيلم أيضًا أن الدول التي دمرت ليبيا وقبله العراق ستتوجه نحو روسيا الآن لتتفرغ لها وتدمرها⁷¹.

يستخدم بوتين هذه الأحداث عادة لتبرير خطط روسيا لإنفاق أكثر من 700 مليار دولار حتى عام 2020 لتحديث قواتها المسلحة، كما ذكرت صحيفة موسكو تايمز: "الأحداث الحالية، بما فيها تلك التي تحدث في ليبيا، تؤكد صحة القرار بتحديث القوات المسلحة وتعزيزها" كما قال بوتين في مارس/آذار 2011.

الفصل الثالث: التأثيرات المحلية والإقليمية

قضية أخرى قادت روسيا نحو تجديد مصالحها واهتمامها بالشرق الأوسط؛ وهي عدد المسلمين الكبير داخل حدودها، فضلًا عن العقود الطويلة والمعقدة من المنافسة والتعاون مع الأغلبية المسلمة المجاورة، وهو ما ساهم في تشكيل الهوية الروسية بشكل أو بآخر⁷².

المسلمون في روسيا

يعيش داخل روسيا ما يتراوح بين 21 إلى 23 مليون مسلم⁷³، وهو ما يعتبر أكبر تجمع للمسلمين في أوروبا⁷⁴. وبالنسبة لبلد يصل تعداد سكانه إلى 144 مليون، يشكل المسلمون ما يصل إلى 16% من إجمالي عدد السكان. وفي موسكو على وجه الخصوص، يوجد 1.5 مليون مسلم من أصل 12.5 مليون مواطن قوام سكان العاصمة الروسية. ووفقًا للمحلل السياسي أليكسي مالاشينكو، فإن موسكو تضم أكبر عدد للأقليات المسلمة بمدينة واحدة في أوروبا⁷⁵.

وهكذا فإن فينمين بوبوف، السفير الروسي المتجول السابق إلى مؤسسات الشرق الأوسط بما في ذلك منظمة التعاون الإسلامية، قال في تصريح له في مايو/أيار 2001 إن روسيا كقوة عالمية مع عدد المسلمين الكبير فيها، يجب أن تملك نشاطًا أكبر في الشرق الأوسط "الذي يرتبط بمصالح استراتيجية روسية بشكل مباشر"⁷⁶.

ومع انهيار الاتحاد السوفييتي، لم تقتصر النهضة على الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا، بل شملت هذه النهضة الإسلام أيضًا مع زيادة كبيرة في أعداد المساجد المنتشرة في روسيا. فضلًا عن وصول عدد من البعثات الإسلامية إلى روسيا. ومع هذا، فقد انخفض عدد السكان الكلي في روسيا منذ بداية التسعينيات؛ حيث انخفض العدد من 149 مليون نسمة إلى 144 مليون نسمة. وتواصل روسيا عملها لمواجهة ارتفاع نسب الوفيات وانخفاض نسب الخصوبة، وارتفاع أعداد المهاجرين خاصة المثقفين؛ نظرًا للتراجع الاقتصادي العام في البلاد. وتظهر معظم بيانات الكرمين في النصف الأول من عام 2015 توجهاً نحو تغير طفيف في هذه الأرقام⁷⁷. وعلى الرغم من انخفاض أعداد السكان في روسيا، إلا أن أعداد المسلمين ما تزال تزداد بشكل مستمر.

وفي حين يقول الخبراء إن عوامل كسوء الحالة والرعاية الصحييتين وإدمان الكحول تشكل أسباب انخفاض معدلات المواليد المسيحية في روسيا، فإن العائلات المسلمة تمتاز بانخفاض معدلات إدمان الكحول، وهو ما يساهم في تحقيق نتائج صحية أفضل، على الرغم من تركيز المسلمين في المناطق الأشد فقرًا. فضلًا عن أن العائلة المسلمة تملك في المتوسط أعدادًا أكبر من الأطفال مقارنة بالعائلات المسيحية⁷⁸.

وتشير إحصائيات 2014 الصادرة عن وزارة التنمية الإقليمية في مناطق روسيا الشمالية والقوقاز، إلى أن داغستان تملك معدلًا للأعمار يصل إلى 75.5 سنة، وهو بين الخمسة الأفضل في روسيا على الإطلاق⁷⁹. تسببت الزيادة الكبيرة في أعداد المسلمين الروس في زيادة تأثير السياسة في الشرق الأوسط على روسيا، فضلًا عن حمل هذا الأمر لآثار على أمن روسيا. وفي 2006، علق بول غلوب، الخبير بشؤون المسلمين في روسيا، قائلاً: "روسيا تمر بتحول ديني ستكون له نتائج على المجتمع أكبر من تلك التي رافقت انهيار الاتحاد السوفييتي"⁸⁰. يمتاز غالبية المسلمين في روسيا بسلميتهم وعملهم الدؤوب، وكثير منهم يواجهون التمييز الروتيني بشكل يومي. الحكومة من جهتها أخفقت في دمج المسلمين داخل المجتمع الروسي، أو حتى ضمن أطر الجيش؛ فتعمدت استبعاد

معظم سكان مناطق شمال القوقاز من التجنيد العسكري، حتى لو قدمت المنطقة عددًا كبيرًا من المتطوعين المستعدين للعمل في الجيش الروسي. ومع ذلك، في عام 2014، وبعد ضم بوتين شبة جزيرة القرم، أعلن الجيش الروسي تخفيف بعض القيود المفروضة على التجنيد في صفوف الجيش الروسي، في إشارة إلى مدى اليأس الذي أصاب قيادة الجيش الروسي من المجندين⁸¹. وحتى قبل رفع بعض هذه القيود، كانت أعداد المجندين المسلمين في الجيش تشهد تزايدًا كبيرًا؛ ففي عام 2013 توقع بعض الخبراء أن يشكل المسلمون ما يصل إلى نصف قوام الجيش الروسي في غضون سنوات قليلة⁸².

طبقًا لمعظم المقاييس الاقتصادية والاجتماعية فإن المسلمين في روسيا يحتلون مرتبة متدنية على هذه المقاييس إذا ما قورنوا بالروس الآخرين، وفقًا لخبير الشؤون الروسية إيلان بيرمان⁸³. في الوقت نفسه، تواصل روسيا خوض معارك خاسرة محلية ضد الإسلام الراديكالي، والذي تكثف وانتشر في جميع أنحاء القوقاز ووسط آسيا. وعلى وجه الخصوص، تعد سياسات الكرملين المسؤول الأول عن هذا التطرف إلى حد كبير، كما نوقش في هذه الورقة ما يتعلق بالسياسات الروسية في الشيشان. بدءًا بالانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان في الحرب الشيشانية الأولى، وصولًا إلى الاعتماد على "سحق" منهج الإسلام الراديكالي بدلًا من الاعتماد على طرق معالجة أكثر تطورًا، وهو ما أدى بشكل أو بآخر إلى تطور الراديكالية⁸⁴.

بالإضافة إلى هذا، لا يزال المئات بل الآلاف من الشيشانيين يقبعون في السجون الروسية حتى يومنا هذا، ويتعرضون لمختلف صنوف التعذيب ما يشكل وقودًا لتغذية التطرف⁸⁵. ومن المرجح أن يتفاقم هذا التطرف مع التدخل الروسي في سوريا، وهو ما ساعد "داعش" على تنظيم عدد كبير من "الإثنية الروسية"؛ وهو مصطلح فضفاض استخدمه الكرملين كثيرًا لوصف المسلمين الروس. وبالفعل فإن الروسية باتت الآن تحتل المرتبة الثالثة بين اللغات الأكثر تداولًا لدى مقاتلي داعش بعد العربية والإنجليزية، هذا بالإضافة إلى نشر داعش مجلة له باللغة الروسية⁸⁶.

الثورات الملونة

تعد الحركة الأوكرانية المؤيدة للديمقراطية، والتي عرفت لاحقًا بالثورة البرتقالية، واحدة من بين الأحداث المحلية التي عملت على إحداث تأثير نسبي في سياسة بوتين في الشرق الأوسط. احتشد في أواخر العام 2004 ملايين المواطنين الأوكرانيين مرتدين ملابس برتقالية اللون؛ لينظموا احتجاجات سلمية وطنية ضد التزوير الذي شهدته الانتخابات الرئاسية المحلية.

أظهرت استطلاعات الرأي المستقلة حينها أن المرشح الموالي للغرب، فيكتور يوشينكو، حصل على ما يصل من 52% من الأصوات. في حين بينت الاستطلاعات أيضًا أن فيكتور يانوكوفيتش، رئيس الوزراء آنذاك والموالي لروسيا، قد حصل على 43%. ومع ذلك، أظهرت النتائج الرسمية فوز يانوكوفيتش المدعوم من روسيا حينها⁸⁷.

احتشدت هذه الأحداث لتؤثر في إطلاق أحداث الثورة البرتقالية الأوكرانية، لتظهر الإرادة الحرة للمجتمع الأوكراني وقوة مجتمعه المدني. بالنسبة لبوتين، كان هذا التطور ضربة سيئة بجوار منزله، فإذا كان الأوكرانيون قادرين على الوقوف في وجه الحاكم المستبد، فما موقف المواطنين الروس؟ وهل سيقومون بالأمر نفسه؟

هنا بدأ بوتين يتحدث عن النفوذ والدعم الغربيين للثورة البرتقالية؛ بما في ذلك التمويل الذي حظيت به المنظمات غير الحكومية⁸⁸، بالإضافة إلى التدخل الغربي في " مجال النفوذ الروسي"⁸⁹. لاحقًا، أصبحت فكرة أن الولايات المتحدة هي من كانت وراء الثورات الملونة هي صاحبة الرواج الأوسع في أطروحات الكرملين.

ما بعد الثورة الأوكرانية

كانت الثورة البرتقالية واحدة من بين سلسلة من الثورات الملونة في جميع أنحاء فضاء ما بعد الاتحاد السوفييتي. فعلى سبيل المثال، سبقت الثورة البرتقالية ثورة أخرى في جورجيا عام 2003، وتلتها في 2005 ثورة أخرى في قيرغيزستان⁹⁰، كما شهد العام 2005 ثورة الأرز في لبنان، وما سمي لاحقًا بالثورة الأرجوانية في العراق، والتي نظر إليها الكرملين بنفس المنوال الذي نظر به إلى الثورة البرتقالية الأوكرانية والثورة الجورجية. ولكن أوكرانيا على وجه الخصوص، كانت تهم الروس أكثر من غيرها نظرًا للتاريخ المعقد الذي يربطها بالاتحاد السوفييتي⁹¹.

بالنسبة لبوتين، وعديد من المسؤولين الروس، انتقلت الأحداث من أوكرانيا لتجد أصدقاء لها في الشرق الأوسط، ممثلة في التدخل الأمريكي في شؤون الدول من جانب واحد. وفي حديث لصحيفة نيويورك تايمز، في 11 سبتمبر/أيلول 2013، قال بوتين: "من دواعي القلق أن التدخل العسكري في النزاعات الداخلية للدول الأجنبية أصبح سياسة شائعة بالنسبة للولايات المتحدة، ولكن ذلك أثبت أنه غير فعال وغير مجدٍ؛ فأفغانستان تترنح، وليبيا انقسمت إلى قبائل وعشائر، والعراق لا يزال تحت براثن حرب أهلية"⁹². وفي العام الذي تلا حديثه هذا، ربط بوتين بين الثورات الملونة والتدخل الغربي والأحداث الجارية في الشرق الأوسط⁹³.

وبعدما يقارب العقد من اندلاع أحداث الثورة البرتقالية وتحديدًا في الأول من أبريل/نيسان 2014، قال وزير الدفاع الروسي، سيرغي شويغو، في قمة منظمة شانغهاي للتعاون التي عقدت حينها في خوجانديباجستان: "أطيح بالرئيس الأوكراني السابق فيكتور يانوكوفيتش في أوكرانيا بسيناريو شبيه بسيناريو الربيع العربي"⁹⁴. أما صحيفة "وروسيسكايا غازيتا" الصحيفة الرسمية الصادرة عن الكرملين، فقالت إن "آليات التدخل الأجنبي" و"نماذج الاستفزاز" مرتبط بعضها ببعض في روسيا ويوغسلافيا وأفغانستان والعراق وأوكرانيا وجورجيا وقيرغيزستان وتونس وليبيا ومصر وسوريا⁹⁵.

ولإعطاء مثال آخر، تحدث بوتين في اجتماع مجلس الأمن في نوفمبر/تشرين الثاني 2014، والذي جرى خلاله مراجعة السياسات الدولية لمحاربة التطرف، وفي حديثه هناك، ساوى بوتين بين الثورات الملونة والتطرف. وأضاف: "نحن نرى ما نتج عن الثورات الملونة من عواقب وخيمة، وسنبذل قصارى جهدنا لضمان عدم حدوث هذا في روسيا أبدًا"، وتابع ليشرح نظريته "للتطرف" مشيرًا إلى أن الثورات الملونة استخدمت كأداة جيوسياسية لإعادة تشكيل مناطق النفوذ⁹⁶.

وبطريقة مشابهة، حرص بوتين على تأكيد التالي قبل اجتماع مع كبار المسؤولين في الكرملين: "نحن ضد التدخل في الشؤون الداخلية للدول ذات السيادة، وضد الاستفزاز والنزاعات المسلحة. ومثل هذه السياسات تتسبب في انتشار الإرهاب لدى دول في شمال أفريقيا والشرق الأوسط، وأدت إلى خلق دراما دموية لدى جيراننا في أوكرانيا"⁹⁷.

بوتين والربيع العربي

بحلول العام 2010، كانت روسيا قد نجحت في استعادة بعض تأثيرها في الشرق الأوسط؛ بما في ذلك "علاقات جيدة مع حكومات المنطقة"، وفقاً للبروفيسور في جامعة جورج ميسون مارك كاتز⁹⁸. الانتفاضات التي اجتاحت المنطقة بشكل واسع، أثرت على بوتين بمقدار يقارب تأثير الثورة البرتغالية في أوكرانيا عليه؛ فمن جهة ساهمت في تعزيز المخاوف من تأثر المواطنين الروس بهذه الانتفاضات بحيث تشكل هذه الثورات مصدر إلهام قوي لهم للإطاحة بالنظام الروسي، ومن ناحية أخرى، تنامت قناعته بأن الغرب دعم هذه الأحداث ودبرها للحد من النفوذ الإقليمي الروسي في المنطقة عبر حلفائه التقليديين⁹⁹.

اعترف المحللون الغربيون بأن احتجاجات الربيع العربي جاءت من أجل الحرية والديمقراطية، والشكاوى الناشئة عن انعدام المساءلة والركود الاقتصادي في المنطقة. لكن هؤلاء المحللون أقرّوا أيضاً أن الثورات هذه أطلقت للحركات العنيفة العنان، بما في ذلك ما تم من مناقشة للآثار المترتبة على دعم الفساد والاستبداد لدى الحكام، وربما العنف ضد التطرف أو المعارضة الفوضوية.

في الوقت نفسه، عمل الكرملين على تصوير الأحداث بشكل سيئ، وسارع إلى بث رسائل تفيد بمخاطر "تغيير النظام" و"الفوضى"، وأن الربيع العربي أضر إلى الشرق الأوسط عبر التدخل الغربي. كتب أحد المحللين الروس: "لنكن دقيقين، الربيع العربي لم يكن الموجة الأولى من الثورة التي أدت إلى اكتساح العالم في القرن 21؛ فقد سبقته سلسلة من الأحداث وانتشرت بشكل تدريجي على مر الوقت، ارتكزت هذه الأحداث على الفراغ الناشئ بعد انهيار الاتحاد السوفييتي أو ما وصف حينها بـ "الثورات الملونة". يشار بهذا المصطلح إلى سلسلة من الانقلابات غير العنيفة. دعونا نقول ببساطة إن القاسم المشترك بينها كان استبدالاً غير شرعي (لكنه شرعي بالدعم الغربي) لقيادة لا يحظون بدعم شعبي، بأنظمة أعلنت نيتها التحرك نحو الاتحاد الأوروبي كبديل للتعاون مع روسيا، وفي الوقت نفسه أعلنت هذه النماذج استعدادها لبناء دول ديمقراطية ليبرالية على النمط الغربي"¹⁰⁰.

ولمزيد من التبدل على الأمر، قال وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف، في أكتوبر/ تشرين الأول 2012: "كان الربيع العربي حصداً للبيذور التي زرعها جورج بوش الابن مع مفهومه "الشرق الأوسط الكبير" و ديمقراطية المنطقة كلها"¹⁰¹. وفي ديسمبر/كانون الأول من عام 2013، قال رئيس لجنة الشؤون الخارجية الروسية، ميخائيل مارغيلوف، الذي يعمل حلقة وصل رئيسية في العلاقات مع الدول الأفريقية: "روسيا تؤمن بوجود اللجوء إلى الحل السياسي لمشاكل المنطقة، مع التركيز على تجنب الحرب الأهلية والعنف، أثير هذا الموقف بعد محاولات لفرض الديمقراطية في بعض الدول الإسلامية كالعراق وأفغانستان، من خلال التدخل الأجنبي، وانتهت الجهود كلها بالوصول إلى دول فاشلة بدلاً من تحقق الحالة الديمقراطية"¹⁰².

وبعيداً عن البيانات المباشرة، سعى الكرملين للسيطرة على تصورات الجماهير عن الربيع العربي بشكل أكثر دهاءً. حيث عمل الكرملين على تمويل صفحة مخصصة لأخبار الربيع العربي حملت اسم "Arabskiy Perevorot" بمعنى "الانقلاب العربي"، والمصطلح هذا يحمل عادة دلالة سلبية، وربما تترجم إلى "الاضطرابات" نظراً لأنها تعني حرفياً "رأساً على عقب".

وفي السياق نفسه، أشارت وسائل الإعلام التي يسيطر عليها الكرملين إلى "عودة"¹⁰³ شبه جزيرة القرم إلى روسيا، بدلاً من "ضم" روسيا شبه الجزيرة؛ وذلك لتعزيز فكرة أن شبه جزيرة القرم كانت دائماً جزءاً ينتمي لروسيا. ويمكن القول إن تصورات الكرملين عن الربيع العربي وجدت صدقاً

جيدًا ضمن شرائح المجتمع الروسي المختلفة. ووفقًا لفيودور لوكيانوف، الذي يرأس تحرير المجلة المؤثرة "روسيا في الشؤون الخارجية": "المجتمع الروسي اليوم لا يؤمن بالثورات بعد كم الصدمات التي تلقاها، بالإضافة إلى خيبات الآمال والإحباط. الاستقرار هنا يملك قيمة عالية جدًا، سواءً لمن هم في نطاق المسؤولية أو للمواطنين العاديين. وسيكون من السهل على أي مراقب مستقل أن يلحظ كيفية شك الحشود الشديد في أي تحمس أو تحرك شعبي، وهذا جاء على أساس عدم التفاؤل بنتائج الاضطرابات وفق ما عرفوه عن بلدان الربيع العربي"¹⁰⁴.

في 18 مارس/آذار 2014، وخلال حديثه أمام الجمعية الفيدرالية الروسية حول الوضع في شبه جزيرة القرم، ساوى بوتين مرة أخرى بين الأحداث في أوكرانيا والأحداث الجارية في الشرق الأوسط. وكان جوهر تصريحاته يتركز حول أن الغرب، بقيادة الولايات المتحدة، أطلق حملة منذ فترة طويلة ضد الدول ذات السيادة، بداية بقصف حلف شمال الأطلسي ليوغوسلافيا في 1999، وصولاً إلى الثورات الملونة التي اجتاحت مناطق ما بعد الاتحاد السوفيتي، وصولاً إلى "الانقلابات" في الشرق الأوسط. متابعًا أن المظالم المشروعة للشعوب المتعبة من "انعدام الآفاق" استخدمت بسخرية وفق معايير هذه الدول، و"أجبرت" على ما لا يناسب تقاليدنا أو تاريخنا. وكنتيجة لهذا، قال بوتين، فإن الفوضى والعنف حلا بدلًا من الديمقراطية والحرية، وتحول الربيع العربي إلى شتاء عربي¹⁰⁵.

وبالإضافة إلى إخبار الغرب برسالة مفادها أن الكرملين يأسف لاندلاع ثورات الربيع العربي، اتهم الكرملين الغرب بالمسؤولية عن خلق داعش. وهو ما كتبه المؤرخ الروسي البارز والخبير في شؤون الشرق الأوسط، جورجي ميرسكي، في مدونة الإذاعة الليبرالية "صدى موسكو" عبر الإنترنت: "على وجه الخصوص، ينتشر بين الروس أن أمريكا هي من خلقت داعش وهي من تقف وراء الجهاديين، والذين ببساطة خرجوا عن نطاق السيطرة"¹⁰⁶.

وبالإضافة إلى النفوذ السياسي المفقود في ضوء الربيع العربي، كان الكرملين مهتمًا بالخسائر المادية المترتبة على الإطاحة بالحلفاء التقليديين منذ الحقبة السوفييتية. بوتين، كتب في فبراير/شباط من عام 2012، مقالًا قدم لموقع روسيا السنوي "يبدو أنه مع الربيع العربي، وكما هو الحال في العراق، بدأت الشركات الروسية في فقد حصصها السابقة التي حافظة عليها لعقود طويلة، خاصة مع حرمانها من العقود التجارية الكبيرة في المنطقة"¹⁰⁷.

ليبيا وسوريا كانتا على وجه الخصوص أكبر مستوردي الأسلحة الروسية. ففي ليبيا، فقدت روسيا مليارات الدولار بعد إلغاء عقود التسليح، كما تقدر الحكومة والمحللون الروس أن الخسائر الناتجة عن هذا في ليبيا تتراوح ما بين 4 إلى 4.5 مليار دولار، أما ما وصفته الحكومة الروسية بـ"إيرادات حقيقية مفقودة" فيصل إلى عشرات المليارات من الدولارات، وفقًا لميخائيل ديميترييف، رئيس الدائرة الاتحادية الروسية للتعاون العسكري والتقني¹⁰⁸.

العقود المفقودة هذه تشمل مجموعة واسعة من المعدات العسكرية بما في ذلك طائرات سوخوي 35 (Su-35) وطائرات (Yak-130) المعدة للقتال والتدريب، بالإضافة إلى مشروع الغواصات 636 ومنظومة إس-300 المتقدمة (S-300)، وحوامات للنقل من طراز (Mi-17) وغير هذا كثير. أما في سوريا، فستصل الخسائر الروسية في حال سقوط بشار الأسد إلى ما يقارب 20 مليار دولار.

وبعد أن كوّنا هذا السياق المهم، بإمكاننا الآن الانتقال إلى دراسة النفوذ الروسي في بعض البلدان في الشرق الأوسط.

إيدراكس IDRAX

FOR STUDIES & CONSULTATIONS • لدراسات والاستشارات

إيدراكس IDRAX

FOR STUDIES & CONSULTATIONS • لدراسات والاستشارات



الفصل الرابع: مصر

تمتاز العلاقات الروسية-المصرية بتاريخها الطويل، لا سيما تلك التي كانت بين الكنيسة الأرثوذكسية الروسية وكنيسة الإسكندرية. دبلوماسيًا، خلال كثير من مراحل الحرب الباردة، كانت مصر من بين أهم حلفاء الاتحاد السوفييتي وأقربهم في الشرق الأوسط. وعلى الرغم من تدهور العلاقات بين الجانبين بعد طرد الرئيس المصري الأسبق، أنور السادات، المستشارين العسكريين السوفييت وأفراد القوات الجوية السوفييتية من مصر في صيف عام 1972،¹⁰⁹ إلا أن العلاقات بدأت بالتحسن بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، وخاصة بعد وصول بوتين إلى السلطة.

في 14 أغسطس/آب 2000، وبعد خمسة أشهر من انتخابه رئيسًا لروسيا، بادر بوتين بالاتصال بالرئيس المصري حينها، حسني مبارك، عن طريق الهاتف، وهو ما كان أول "اتصال مباشر" بينهما، ووفق الكرملين "تمت مناقشة قضايا العلاقات الودية"¹¹⁰. في أبريل/نيسان من العام 2001، زار مبارك موسكو، ووقع على اتفاق "طويل الأمد لتطوير العلاقات التجارية والاقتصادية، في المجالات الصناعية والعلوم والتعاون التقني"، بالإضافة إلى توقيع اتفاق "إعلان مبادئ حول علاقات الصداقة والتعاون" بين الطرفين¹¹¹. لاحقًا، تبادل مسؤولون رفيعون من الجانبين الزيارات خلال السنوات اللاحقة.

في سبتمبر/أيلول 2004، في القاهرة تحديدًا، وقع سيرغي لافروف على "بروتوكول تعاون استراتيجي وحوار بين وزارتي الخارجية". وفي الفترة ما بين 26-27 أبريل/نيسان 2005، زار بوتين مصر في أول زيارة من نوعها منذ أربعين عامًا، ووقع بيانًا آخر حول "تعميق العلاقات الودية"، والذي أكد على نحو متزايد "الطابع الاستراتيجي" للعلاقات المصرية-الروسية. في الشهر نفسه، زار بوتين مجلس جامعة الدول العربية في أول زيارة من نوعها من قبل زعيم روسي، واعتمد المجلس السفير الروسي في مصر مفوضاً ممثلًا في جامعة الدول العربية. المسؤولون الآخرون تبادلوا الزيارات فيما بينهم خلال السنوات اللاحقة، ووقع البلدان اتفاقات تعاون ثنائية في مجالات التعليم والعلوم والطاقة؛ بما في ذلك الاتفاق الذي وقع في 8 مارس/آذار فيما يتعلق بالتعاون بين مصر وروسيا في صناعات محددة مثل تجارة الطاقة النووية¹¹².

مع اندلاع أحداث الربيع العربي والإطاحة بمبارك من سدة الحكم في مصر، فقدت روسيا نفوذها في مصر مؤقتًا. لكن بوتين كان حريصًا على استعادة هذا النفوذ، ومد يده للتعاون مع الإخوان المسلمين، على الرغم من أن المحكمة العليا الروسية صنفت الجماعة على لائحة الإرهاب في فبراير/شباط 2003 وقامت بحظرها رسميًا في روسيا¹¹³. حيث اتهم المسؤولون الروس جماعة الإخوان المسلمين بتعزيز التمرد بشكل مستمر في شمالي القوقاز، ومع ذلك في 28 يونيو/حزيران 2012، هنا بوتين الرئيس المنتخب حديثًا والمنتسب لجماعة الإخوان المسلمين، محمد مرسي، بفوزه في الانتخابات¹¹⁴. وفي 23 تموز/يوليو؛ أي بعد شهر من التهنئة الأولى، أرسل بوتين برقية تهنئة لمرسي في الذكرى السنوية لثورة 1952، وهي الثورة القومية في مصر التي أنهت الاحتلال البريطاني. أعرب بوتين في رسالته عن "رغبته في تعزيز العلاقات بين روسيا ومصر في كافة المجالات، بالإضافة إلى بناء شراكة فاعلة بين البلدين لحل المسائل الإقليمية"¹¹⁵.

وهكذا أشار بوتين إلى أنه يرحب بعودة مصر زعيمة للعالم العربي. وأنه أراد برسالته المعادية للغرب أن يركز على هذه التوعية من خلال تهنئة مرسي في ذكرى حدث يعتبره كثيرون علامة فارقة أطاحت بالإمبريالية الغربية. وبدأ المسؤولون الروس أيضًا مناقشة إمكانية تخفيف القيود المفروضة

على الإخوان المسلمين في روسيا¹¹⁶. وفي أبريل/نيسان 2013، قام مرسي بزيارة موسكو في بادرة وصفتها صحيفة الكرملين الرسمية بأنها "تفتح أبواب التعاون" بين البلدين¹¹⁷.

كشفت تواصل بوتين مع الإخوان المسلمين أنه على الرغم من التفضيل الروسي للتعامل مع العلمانيين، إلا أنه سيعمل مع الإسلاميين لتأمين النفوذ الروسي في ظل الفراغ الذي خلفه غياب الغربيين في المنطقة، وحتى لو كان ذلك يعني دعم منظمة تشجع الإرهاب وعدم الاستقرار في روسيا، من وجهة نظر الكرملين على الأقل¹¹⁸.

وبعد الإطاحة بمرسي في يوليو/تموز 2013، بدأت العلاقة المصرية-الروسية بالتحسن، ولا سيما أن علاقة مصر مع الولايات المتحدة شهدت مراحل انخفاض وتوترات. القاهرة كانت تنظر بقلق متزايد نحو ما رأت أنه انخراط للولايات المتحدة في علاقة مع الإخوان المسلمين، وشعرت أنها وحيدة في حربها على الإرهاب، خاصة بعد أن أصبحت شبه جزيرة سيناء مرتعًا للتطرف وعدم الاستقرار. واشنطن أيضًا تأخرت في إرسال شحنات الأسلحة لمصر، وحجبت المساعدات العسكرية عنها، وأوقفت في وقت لاحق الحوار الاستراتيجي المصري الأمريكي الوليد، هذا التراجع في العلاقات والتواصل بين مصر والولايات المتحدة خلق فرصة لبوتين كي يؤكد عبرها المصالح الوطنية مع مصر.

وخلالًا لأوباما، أيد بوتين بحماسة خطة السيسي لتولي الحكم في مصر، ولم ير بوتين أي جدوى من انتقاد السيسي على ارتداده الديمقراطي. ومن وجهة نظر بعض الخبراء، كان الكرملين يتطلع لتعزيز العلاقات مع مصر لضمان نجاح مؤتمر جنيف للسلام المتعلق بسوريا، في حين رأى البعض الآخر أن الكرملين يرى في السيسي جمال عبد الناصر الجديد، الذي تحدث من منطلق القومية العربية ضد الغربية الإمبريالية¹¹⁹.

تحسنت العلاقة الاقتصادية بين مصر وروسيا بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة؛ ففي عام 2014 زار أكثر من 3 ملايين سائح روسي مصر من أصل 10 ملايين سائح حول العالم. وشكل منتج شرم الشيخ مزارًا هامًا لهم. ووفقًا لبوتين فإن هذا يشكل ما يصل إلى زيادة 50% عن العام الماضي¹²⁰.

في 31 أكتوبر/تشرين الأول 2015، تحطمت طائرة الركاب الروسية بعد أن أقلعت من شرم الشيخ؛ مما أدى إلى مقتل جميع ركابها الـ224. وفي حين تباطأت الحكومة الروسية في الإقرار بأن الحادث كان نتيجة قنبلة زرعها إرهابي، ذهبت الحكومة الروسية إلى أن الحكومتين البريطانية والأمريكية هرعتا إلى الاستنتاجات المستعجلة¹²¹. وقبل السادس من نوفمبر/تشرين الثاني تم تعليق جميع الرحلات الجوية إلى مصر¹²². وظهرت تقارير تقول إن رئيس الوزراء الروسي ميديفيد أفشرف على إجلاء ما يصل إلى 25 ألف سائح من أصل 80 ألف سائح روسي في مصر¹²³. ولا شك أن تعليق الرحلات الجوية أثر بشكل سلبي على الاقتصاد المصري، وفي أواخر ديسمبر/كانون الأول أعربت الحكومة المصرية عن أملها في أن يتم رفع الحظر قريبًا¹²⁴. وحتى كتابة هذه السطور لم تبد الحكومة الروسية أي نيات للقيام برفع هذا الحظر.

نمت التجارة بين البلدين إلى ما يقارب 50% خلال هذه الفترة، لتصل إلى أكثر من 4.5 بليون دولار في عام 2014. وهو ما يعني أن روسيا تقدم ما يصل إلى 40% من دخل مصر. وفي يوليو/تموز 2015، عقدت مصر وروسيا لأول مرة على الإطلاق مناورات عسكرية بحرية مشتركة قبالة ميناء الإسكندرية¹²⁵. والواقع أن بوتين يعتبر التوسع البحري الروسي أولوية هامة، بما في ذلك استعادة الوجود البحري الروسي في البحر الأبيض المتوسط، وتحالفه مع مصر سيساعده لتحقيق هذا الغرض¹²⁶.

في نهاية المطاف، فشلت محاولة الولايات المتحدة للضغط على مصر لتحسين مستوى حقوق الإنسان ومجالات الاهتمام بها، وهو ما صب أيضًا في إطلاق جهود عسكرية حاسمة ضد الجهاديين، استغل بوتين هذا الفراغ واكتسب مصداقية كبيرة، فضلًا عن المزايا المالية والاستراتيجية كنتيجة لهذا التعاون.

إيدراكس IDRAX

FOR STUDIES & CONSULTATIONS • للدراسات والاستشارات

إيدراكس IDRAX

FOR STUDIES & CONSULTATIONS • للدراسات والاستشارات

الفصل الخامس: إيران

تتشارك روسيا وإيران في تاريخ معقد، فلعدة قرون تأرجحت العلاقة بينهما من التعاون المحدود إلى المنافسة أو الصدام المباشر. وقرب نهاية الحرب الباردة، بدأ الاتحاد السوفيتي ببيع الأسلحة لإيران بين عامي 1989 و1991. وقع السوفييت عددًا من صفقات الأسلحة مع طهران، بقيمة إجمالية تصل إلى 5.1 مليار دولار؛ مما جعل إيران واحدًا من أكبر عملاء صناعة الأسلحة السوفيتية. وفي تسعينيات القرن الماضي، دخلت موسكو وطهران فترة من التعاون الاستراتيجي على أساس المصالح المتبادلة. واصلت موسكو اعتمادها الأساسي على صناعة الأسلحة للنمو الاقتصادي، وكانت إيران مهتمة بالاستفادة من هذه السياسة. وعبر التسعينيات، واصلت روسيا توريد الصناعات العسكرية إلى إيران، كالدبابات والذخيرة. كما ساعدت روسيا إيران في بناء مصانع إنتاج الدبابات وناقلات الجند المدرعة، ومع ارتفاع أسعار النفط أواخر التسعينات بدأ الكرملين يرى أن إيران هي الجاذب الأكبر للصادرات الروسية أكثر من أي وقت مضى.

ثمة عامل آخر ساهم في تنامي التعاون بين الطرفين في التسعينيات تمثل في مشاركة القيادة الإيرانية الخوف الروسي حول مناطق آسيا الوسطى والقوقاز. موسكو تعتقد أن طهران تسعى لتوسيع نفوذها في هذه المناطق، كما أن موسكو غير واثقة من طبيعة تأثير زيادة النفوذ الإيراني على الأقليات المسلمة الضخمة في روسيا.

في عام 1999، وقبل وقت قصير من تولي بوتين مقاليد الحكم في روسيا، ساهم انعدام أمن التوجه الأممي في روسيا في توجيه رغبة الكرملين نحو إنشاء مجالات تأثير محددة¹²⁷. فوفق الباحث طلال نظام الدين، الذي ألف كتابًا عن علاقة روسيا بالشرق الأوسط في ظل حكم بوتين، فإنه "خلال التسعينيات، تحولت موسكو نحو مزيد من الاهتمام بالجغرافيا الاستراتيجية، وهو ما عزز التركيز حول أوروبا وآسيا بحيث تصبح إيران درعًا للدفاع في المنطقة الجنوبية من روسيا"¹²⁸. والواقع يقول إن هذا الاعتبار ساهم في تشكل العلاقة الإيرانية الروسية¹²⁹.

في أكتوبر/تشرين الأول من العام 2000، زادت موسكو من جهودها لاستكمال عمليات البناء في المفاعل النووي الإيراني في بوشهر، وهو المشروع الذي شاركت فيه روسيا لبضع سنوات، قبل أن تحل محلها شركة سيمنز الألمانية التي تخلت عن المشروع لاحقًا بعد قيام الثورة الإسلامية في إيران عام 1979. ورغم أن بوتين في هذه المرحلة كان حذرًا في علاقته مع الولايات المتحدة، إلا أنه ألغى من جانب واحد اتفاق غور-تشيرونوميردين¹³⁰، وهو الاتفاق السري الذي وقعه كل من رئيس الوزراء الروسي فيكتور تشيرونوميردين ونائب الرئيس الأمريكي آل غور في يونيو/حزيران 1995، والذي يلزم روسيا بإنهاء جميع أشكال التعاون مع إيران بحلول العام 1999، مقابل تبادل الخبرات والتعاون مع الجانب الأمريكي فيما يتعلق بتكنولوجيا الدفاع¹³¹.

وحالما تولى بوتين سدة الرئاسة في روسيا، أيد كثير من السياسيين والجنرالات الروس المتشددین تحسين العلاقات مع إيران؛ لكونها أحد أهم زبائن روسيا في الصفقات العسكرية. وبحلول العام 2001، أصبحت إيران ثالث أكبر مستهلك للأسلحة الروسية في العالم¹³². وفي ذلك العام أيضًا، اشترت إيران من روسيا 30 طائرة نقل عسكري من طراز (Mi-8)¹³³.

ساهم تنامي التجارة العسكرية بين البلدين في دعم العلاقة والتعاون نحو مستوى جيد، وزار الرئيس الإيراني، محمد خاتمي، موسكو بناءً على دعوة وجهها له بوتين في مارس/آذار 2001، وهي أول زيارة لرئيس إيراني منذ الثورة الإسلامية في عام 1979. وعلى مدار السنوات اللاحقة، حافظ

البلدان على التجارة النووية بينهما، ودافع الكرملين عن البرنامج النووي الإيراني بدعوى أنه سلمي، وأصر على ذلك في وجه الوكالة الدولية للطاقة النووية.

في الوقت نفسه، لفتت تصرفات موسكو في الشيشان نظر طهران، وما تزال حالة انعدام الثقة التاريخية فعالة بين البلدين، وهو ما لم يجعل روسيا وإيران تتصرفان بثقة مطلقة على مدار سنوات هذه العلاقة. وكمثال على هذا التباين في المصالح الحادث الذي أوقفت فيه طهران جهود التنقيب لشركة بريتيش بترليوم في مياه أذربيجان من بحر قزوين، بدعوى أن المنطقة تلك متنازع عليها. وهو ما تسبب في تحول أذربيجان نحو الدعم التركي والأمريكي بشكل يؤثر بطريقة غير مباشرة على المصالح الروسية¹³⁴.

شكلت حرب العراق عام 2003 سببًا آخر لزيادة التعاون بين روسيا وإيران؛ فالشعور المشترك بالتعدي الغربي والنفور من انتشار الديمقراطية الليبرالية شكلا عوامل هامة في زيادة التعاون. وخشي الطرفان أيضًا من صعود الإسلام الراديكالي السنني في العراق، خاصة أنه استهدف تقليديًا مكافحة الشيعة وروسيا، وفي ديسمبر/كانون الأول 2005 وقعت طهران صفقة أسلحة بمليارات الدولارات شملت 29 نظام دفاع صاروخي من نوع (Tor-M1) لحماية محطة بوشهر النووية. ووفقًا لتقارير صحفية نشرت مطلع 2006 استثمرت روسيا ما يصل إلى 750 مليون دولار في مشروعات الطاقة بإيران¹³⁵.

وفي العام نفسه أيدت موسكو بشدة توجه مجموعة 1+5 للتنسيق بشأن التفاوض مع إيران فيما يتعلق بالبرنامج النووي؛ وبسبب نهجها المتعدد الأطراف، امتلكت روسيا شكلاً جديدًا زاد من نفوذها الدبلوماسي على الغرب. وسعت روسيا دومًا لتخفيف العقوبات المفروضة على طهران.

وبشكل عام، تملك روسيا موقفًا مختلفًا عن الموقف الغربي فيما يتعلق بالانتشار النووي؛ فموسكو تهتم بشكل أساسي إن كان هذا البرنامج النووي سيتسبب في تهديد مصالحها بدلًا من تسببه في تهديد الأمن الدولي.

في عام 2002 وضع وزير الدفاع الروسي، سيرغي إيفانوف، الخطوط العريضة المتعلقة بسياسة موسكو تجاه انتشار الأسلحة النووية، حيث قال: "المعايير الأساسية للسياسة الروسية فيما يتعلق بهذا المجال تتعلق بالأمن الوطني، وتعزيز المواقف الدولية لبلدنا والحفاظ عليها كقوة عظمى"¹³⁶، فموسكو لا تريد ظهور أي منافس نووي لها في المنطقة، لكنها بالتأكيد لا ترى في الأمر تهديدًا كبيرًا كما يراه الغرب¹³⁷. فعلى سبيل المثال أظهرت العقيدة العسكرية الروسية في 2015 وما سبقها في 2010، إشارة إلى أن الروس يرون في الناتو تهديدًا أكبر لروسيا من الانتشار النووي الإيراني. هذا بالإضافة إلى أن استراتيجية الأمن القومي الروسي، التي تم تحديثها في 31 ديسمبر/كانون الأول 2015، لم تقتصر على وضع الناتو والثورات الملونة من بين أكبر التهديدات التي تواجه روسيا، لكنها أشارت إلى أن تراكم قوات الناتو على الحدود الروسية يعتبر انتهاكًا للقانون الدولي¹³⁸.

جغرافيًا، روسيا تعد أقرب إلى القوى النووية الأخرى من الدول الغربية، ويتعامل الكرملين مع هذه الدول ما يجعلها أقل تهديدًا له. وبوتين وفق ذلك قلل كثيرًا من الطموحات النووية الإيرانية. فعلى سبيل المثال قال في يونيو/حزيران 2013: "ليس لدي شك في أن إيران تلتزم بالقواعد؛ وذلك لأنني لا أملك دليلًا على عكس ذلك"¹³⁹.

ووفقًا لمارك كاتز، فمن وجهة نظر موسكو فإن الاتفاق النووي إن قاد إلى تحسين العلاقة الأمريكية-الإيرانية سيكون أسوأ بالنسبة لموسكو من "إيران النووية"¹⁴⁰. وفي أكتوبر/تشرين الأول

2007، وخلال زيارة قام بها بوتين إلى طهران للمشاركة في قمة حضرتها كل من تركمانستان وكازاخستان وأذربيجان، حذر بوتين قائلاً: "لا ينبغي حتى التفكير في الاستفادة من القوة في المنطقة". وكانت هذه أول زيارة يقوم بها رئيس روسي لطهران منذ الزيارة التي قام بها ستالين في 1943¹⁴¹.

وفي شهر ديسمبر/كانون الأول من ذلك العام، بدأت روسيا في تسليم الوقود النووي لمحطة بوشهر، مؤكدة أنه يستخدم لأغراض سلمية. قدم الرئيس الأمريكي في وقتها، جورج بوش، إطاراً على هذا النحو: "واحد من أهم القرارات التكتيكية التي اتخذتها روسيا، والتي أيدتها الولايات المتحدة، كان في حق إيران في الحصول على برنامج نووي مدني سلمي. لكن، ما لم يكن لديهم هو ثقتنا بقدرتهم والسماح لهم بتخصيب اليورانيوم لتشغيل المحطة، لماذا؟ لأن لديهم برامج أسلحة سرية لم يعلن عنها حتى الآن"¹⁴².

وخلال فترته الرئاسية الثانية استخدم بوتين تعاونه مع طهران ورقة مساومة لمقاومة الدرع الدفاعي الصاروخي في أوروبا الشرقية، الذي كان موجهاً نحو إيران وروسيا في صراعها مع جورجيا. واستخدمه كمنقطة أخرى للخلاف مع الغرب وللحفاظ على تزايد النفوذ الروسي في الشرق الأوسط. تظهر تصرفات موسكو كأنها مهتمة بمصالحها مع طهران، وتحسب تصرفاتها على أساس الواقعية السياسية. فالتعاون مع طهران يتناسب مع استراتيجية الكرملين في التوسع "وهو الرأي الذي ساد في موسكو"، وهو ما أشار إليه طلال نظام الدين حين كتب "إن استمرار التهديدات الأمريكية بشن حملة عسكرية ضد إيران تنافس مع طموح واشنطن وحلفائها الأكبر المتمثل في إضعاف روسيا وعزلها"¹⁴³.

علاوة على ذلك، وفقاً لمارك كاتز، فإن العقوبات التي فرضت على إيران، ووافقت موسكو عليها زادت الطلب على النفط الروسي. حيث ساهمت هذه العقوبات في جعل كل من كازاخستان وأذربيجان وتركمانستان تعتمد تصدير الغاز عبر روسيا، وفي الوقت نفسه امتنعت عن بناء خطوط أنابيب لنقل الغاز عبر إيران¹⁴⁴. أذربيجان وإلى حد أقل كازاخستان، تعملان على تصدير الغاز عبر القوقاز وتركيا. تركمانستان من جانبها تملك خط أنابيب غاز كبيراً في الصين. وهكذا فإن الكرملين يعلم أن مزايا دعم إيران تفوق عيوب هذه المسألة. ومن وجهة نظر طهران فإن روسيا كانت شريكاً مفيداً بالمثل ووسعت علاقات إيران في المنطقة.

وعلى الرغم من موافقة الكرملين على دعم العقوبات الغربية على إيران في 2010، إلا أنه أقنع الأمم المتحدة بضرورة تخفيفها، وكذلك استخرج الكرملين تنازلاً غير مسبوق تمثل في رفع العقوبات الأمريكية على المجمع العسكري الروسي، وهو ما كان من شأنه أن يسمح لموسكو من الناحية التقنية ببيع البطاريات المضادة للطائرات لطهران¹⁴⁵. وكما ذكر السفير اريك ادلمان، وهو مساعد سابق لنائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني، فإن الروس ولأول مرة أبدوا أنهم يتقاسمون نفس الأهداف الغربية خلال المحادثات، ولكنهم بعد ذلك ينتقلون لدورهم الآخر سريعاً بأن يقوموا بدور المحامي الإيراني¹⁴⁶.

وفي العام نفسه، وتحت تأثير الضغط الإسرائيلي والأمريكي، وافقت روسيا على تعليق، وليس إلغاء، عقد تصل قيمته إلى 800 مليون دولار يرجع للعام 2007، ويقضي بتسليم صواريخ إس-300 المضادة للطائرات والقادرة على إسقاط الطائرات الحربية الأمريكية والإسرائيلية في حال استهداف المنشآت النووية الإيرانية، وطبعاً كان المقابل تقديم تنازلات متعلقة بالدرع الصاروخي في أوروبا.

وفي أكتوبر/تشرين الأول 2011، وبعد وقت قصير من اندلاع الاحتجاجات المناهضة للأسد في سوريا، قام وفد من حزب الله بزيارة رسمية لموسكو هي الأولى من نوعها¹⁴⁷. وفي حين لم يعلن كثير من التفاصيل حول هذه الزيارة، إلا أن الهدف الأساسي منها كان، وفق ما ذكر، مناقشة التطورات الإقليمية، مثل وجهات نظر موسكو في الربيع العربي ودعم بشار الأسد¹⁴⁸. وقال رئيس الوفد الزائر حينها، محمد رعد: "هذه الزيارة الأولى مهدت الطريق للتعاون ومتابعة المناقشات مع المسؤولين الروس"¹⁴⁹.

طهران من جهتها دعمت قرار بوتين للعودة إلى رئاسة الجمهورية لولاية ثانية في مايو/أيار من 2012. ويّين السفير الإيراني في موسكو، محمود رضا سجادي أنه "لا يوجد دولة مثل روسيا تملك هذا العدد الهائل من وجهات النظر والمصالح المشتركة مع إيران". في حين أشار مصدر إيراني متشدد كجريدة "الرسالة اليومية - Daily resalat" إلى الأمل الذي وضعته طهران في قدرة بوتين على مقاومة الغرب والخطة الأمريكية المقترحة للمنطقة.

وصف نيكولاي بوبكين، رئيس تحرير المجلة الروسية "ديلوفاي"، إيران خلال مقاله "إيران التجارية"، "الصراحة غير العادية للدوائر الرسمية الإيرانية" في حديث الدبلوماسيين الإيرانيين عن حلفائهم الروس¹⁵⁰. وكما بين سابقًا، لم يكن البرنامج النووي الإيراني تهديدًا حقيقيًا لروسيا كما كان تهديدًا للغرب. وفي يناير/كانون الثاني 2012 أصدرت وزارة الخارجية الروسية بيانًا شرحت فيه أن المخاوف الغربية بشأن البرنامج النووي الإيراني "مبالغ فيها". وفي حين أعرب البيان عن "الأسف" و"القلق" لإطلاق محطة تخصيب اليورانيوم الإيرانية الجديدة قرب قم، أشار البيان إلى أن "إيران أبلغت الوكالة الدولية للطاقة الذرية عن أعمال التخصيب في هذه المحطة مسبقًا، فضلًا عن أنها جميعًا تجري تحت إشراف من وكالة الطاقة النووية هناك"¹⁵¹.

وفي حين أن هذا كان صحيحًا من الناحية التقنية، أكدت الوكالة الدولية أن إيران بدأت إنتاج اليورانيوم المخصب بنسبة تصل إلى 20%، والتي كانت، وفقًا للمحللين، خطوة مهمة في بناء سلاح نووي.

أدان مسؤولون غربيون هذا التحرك سريعًا، معتبرين أنه علامة على التصعيد وانتهاك صريح لالتزامات إيران النووية¹⁵². خلال هذه الأحداث، أشار لافروف أيضًا إلى أن إيران تستحق أن تكون "شريكة على قدم المساواة" في حل قضايا الشرق الأوسط، وأن العقوبات تضر بالتجارة بين روسيا وإيران.

وعلى وجه الخصوص، كان التقارب الأخير في العلاقات بين الحكومة الإيرانية والروسية نوعيًا بامتياز؛ فعلى صعيد الملف النووي ساعدت الشركة الروسية الحكومية "أتموستري" الإيرانيين على إكمال بناء محطة بوشهر النووية، مانحة الإيرانيين التحكم رسميًا بالمنشأة في سبتمبر/أيلول 2013. وفي نوفمبر/تشرين الثاني 2014، أعلنت الشركة النووية الروسية المملوكة من الدولة "روساتوم" عن توصلها لاتفاق مبدئي يقضي ببناء وحدتين نوويتين جديدتين في إيران، وهو العدد الذي من المرشح أن يرتفع إلى ست وحدات نووية جديدة.

وفي خضم مواجهة بوتين والغرب بشأن العدوان الروسي في أوكرانيا، كثف الجانبان تعاونهما الثنائي على نطاق واسع ليشمل قطاعات أخرى. فعلى سبيل المثال، في أغسطس/آب 2014، أعلنت وزارة الطاقة الروسية عن توصلها لاتفاق "النفط مقابل السلع" مع إيران، بقيمة تصل إلى 1.5 مليار دولار شهريًا. ووفقًا لهذا الاتفاق، تلتزم إيران بتزويد روسيا بـ500 ألف برميل نفط يوميًا بأسعار مخفضة، مقابل توفير روسيا للسلع والخدمات المطلوبة.

شكك محللون في الجدوى الاستراتيجية من الاتفاق خاصة أن وضعه الحالي غير واضح، لكن الاتفاق يبقى موجوداً على الطاولة حتى اللحظة.

وبالمثل في ديسمبر/كانون الأول 2015، أعلن مهدي صناعي، السفير الإيراني في روسيا، عن هدف غير واقعي لتعزيز التجارة الثنائية بين البلدين لتصل إلى 70 مليار دولار، بعد أن كانت تتراوح بين 3 إلى 5 مليارات دولار حينها. وسابقاً في يونيو/حزيران 2014، وخلال مقابلة مع "روسيا في الشؤون العالمية"، قال السفير إنه تلقى نصائح من الجانب الروسي حول كيفية الحد من آثار العقوبات الغربية على طهران، مشيداً بدور موسكو الدولي البارز بهذا الشأن.

في غضون ذلك، التقى الرئيس الإيراني حسن روحاني ببوتين ست مرات خلال العام الماضي¹⁵³. بالإضافة إلى عقد عدد من الاجتماعات على مستوى المسؤولين من كلا البلدين. وفي الآونة الأخيرة، زار بوتين إيران في 23 نوفمبر/تشرين الثاني 2015، والتقى هناك بروحاني وبالمرشد الأعلى للثورة الإيرانية علي خامنئي¹⁵⁴، الذي بدوره شكر بوتين لدوره في المفاوضات النووية. وتحديث تقارير عن وصف روحاني لبوتين بأنه "واحد من الناس الأكثر نفوذاً في العالم"¹⁵⁵. وعقب انتهاء الاجتماع أعلن كل من بوتين وروحاني عن توقيعهما عددًا من الاتفاقات، بما في ذلك اتفاقات تجارية وأخرى متعلقة بسفر المواطنين من كلا البلدين.

بالإضافة إلى ذلك أعلن الطرفان عن توصلهما لعقود بناء السكك الحديدية "غرمسار-ايننتشه برون"، بالإضافة إلى مشروع للطاقة الكهربائية ومحطة الطاقة الحرارية ومحطة لتحلية المياه، والاتفاق على استخراج الاحتياطيات العميقة من المياه الجوفية في إيران¹⁵⁶. وأضاف حينها بوتين أن الدولتين ستستمران في التعاون في مجال الطاقة النووية.

وفي يناير/كانون الثاني من عام 2015 سافر وزير الدفاع الروسي شويغو إلى طهران، في زيارة تعد الأولى من نوعها يقوم بها وزير دفاع روسي خلال السنوات الـ15 الماضية. وهناك، وقع مع نظيره الإيراني، حسن دهقان، مذكرة تفاهم حول التعاون العسكري، وبينما لاتزال تفاصيل الاتفاق مبهمة، إلا أن الوثيقة ركزت على ما يبدو على التدريبات العسكرية المشتركة.

في الشهر التالي رفع بوتين الحظر عن مبيعات صواريخ (إس-300) مباشرة بعد أن وقعت إيران على التفاهات الأولية المرتبطة بالاتفاق النووي مع الغرب. في حين أشارت التقارير الصحفية إلى أن روسيا سلمت هذه صواريخ مع نهاية عام 2015¹⁵⁷.

لاحقًا، ذكرت الصحف الروسية أنه وفقًا لمقابلة صحفية عقدت في 30 ديسمبر/كانون الأول 2015 مع نائب رئيس الوزراء الروسي، ديمتري روجوزين، فقد بدأت روسيا فعليًا بتسليم صواريخ (إس-300) لإيران¹⁵⁸. وكان الكرملين قد أولى إتمام هذه الصفقة اهتمامًا خاصًا، حتى تولى بوتين بنفسه مسؤولية الإشراف على بعض تفاصيلها¹⁵⁹. بالنسبة لبوتين، فإن هذا الاتفاق كان يعني أن "العلاقة الثنائية مع إيران سوف تحصل على دفعة جديدة، ولن تتأثر بالعوامل الخارجية"¹⁶⁰، ووفق جل تصريحاتهما فإن كلاً من موسكو وطهران تريان أنهما في نهاية المطاف جزء أكبر من الاستراتيجية المشتركة بينهما.

الحسابات وعدم الثقة المتكاملة أهم ما يحكم العلاقة بين الدولتين، يقول محللون إن طهران لم تنس الازدراء الذي تعرضت له بعد تجميد صفقة أسلحة (إس-300)، وشعرت بقلّة احترام مثيلة بسبب البروتوكول (غور-تشيرونوميردين) الأمريكي الروسي. وبطبيعة الحال، فإن طهران كانت تفضل أن تعارض موسكو العقوبات بمجملها، وفي نهاية المطاف، فإن المصالح تقود السياسة الروسية

الإيرانية بما يتضمن الحد من النفوذ الغربي وتقدم البلد ذاتيًا، وربما تعزيز العلاقة مع طهران بشكل كبير حتى لو كان هذا على حساب الأمن الدولي.

وهكذا في أبريل/نيسان 2015، كتب جورج ميرسكي في مدونته "سمعت قبل عدة سنوات أحد مسؤولي وزارة الشؤون الداخلية يقول: إيران النووية أفضل لنا من إيران الموالية لأمريكا". ووفق ميرسكي: "هذا التوجه يشير إلى عدم اكتراث الجانب الروسي بما سيحدث في إيران أو في الشرق كله، الشيء الرئيسي لروسيا هو أن تخسر واشنطن"¹⁶¹. وعلى الرغم من أن الأهداف الإيرانية والروسية قد تختلف في سوريا على المدى الطويل¹⁶²، إلا أنهما على المدى القصير ظهرا في تحالف واضح هناك. وفي الآونة الأخيرة وفي سياق التدخل الروسي في سوريا أعلن المسؤولون الروس عن فتح خط ائتمان بقيمة 5 مليارات دولار لإيران¹⁶³.

للدراستات والاستشارات • FOR STUDIES & CONSULTATIONS

IRAK

للدراستات والاستشارات • FOR STUDIES & CONSULTATIONS

الفصل السادس: العراق

تعود العلاقات الروسية العراقية إلى عقود طويلة، ومرت بمراحل تعاون وخلاف على حد سواء. فور تولي بوتين الرئاسة عام 2000، سعى لتوسيع النفوذ الروسي في العراق. حيث عمل على دعم العلاقات التجارية الروسية وتطويرها مع شركائها الكبار، لا سيما عبر شركات النفط الروسية، ومن ثم تأمين إحداث التأثير السياسي.

وللنجاح في هذه المساعي، عمل بوتين لاستعادة ما يصل إلى 8 مليارات دولار كديون مستحقة لروسيا على العراق، هذه الديون تراكمت عند صدام حسين بعد شرائه الأسلحة السوفيتية في ثمانينيات القرن الماضي خلال حربه مع إيران. علاوة على ذلك، شكل العامل التجاري أهمية خاصة للعقود الروسية في العراق، حيث كانت العقود الروسية في العراق أكثر من العقود الروسية في أي بلد عربي آخر¹⁶⁴.

وخلال فترة بوتين الرئاسية الأولى، جدد الكرملين ضغطه لإزالة العقوبات الدولية المفروضة على العراق¹⁶⁵. ووفقًا لتقديرات الخبراء، تمكنت الشركات الروسية خلال فترة حكم صدام حسين من جني ما يصل إلى 70 مليار دولار بعد حصولها على امتيازات الشركات النفطية، خاصة من حقل نفط القرنة الثاني غربي العراق¹⁶⁶. ومن ثم كان استمرار العقوبات على العراق يتناقض مع اهتمامات رجال الأعمال الروس¹⁶⁷.

وكانت موافقة الأمم المتحدة على برنامج "النفط مقابل الغذاء" صفقة مربحة للشركات الروسية؛ حيث منح النفط العراقي لروسيا مقابل المنتجات المختلفة؛ ابتداءً من الأرز وصولاً إلى معدات تكرير النفط، ووفق شروط تفصيلية. وكان أكثر من ثلث عائدات الضرائب الروسية يعتمد على أسعار النفط. واستمر ذلك وصولاً إلى الإطاحة بصدام حسين، وهو ما تسبب في نهاية المطاف في خسارة العقود المربحة خاصة في ضوء ارتفاع أسعار النفط¹⁶⁸.

خلال هذه المرحلة، كانت العلاقات الروسية-الأمريكية قوية بشكل نسبي. وتشير التقارير إلى أن الولايات المتحدة ألمحت لروسيا أن بإمكانها استعادة مصالحها في العراق بعد انتهاء الحرب هناك. فعلى سبيل المثال، وخلال مقابلة تلفزيونية على الهواء في 2003، أعرب وزير الخارجية الأمريكي حينها، كولن باول، عن ثقته بأن تشكيل حكومة عراقية جديدة سيسهل سداد ديون العراق (8 مليارات دولار) لروسيا بشكل كامل، وهو ما من شأنه أن يجعل أمريكا لا تعترض حينها على وجود قوات روسية ضمن قوات حفظ السلام في العراق. وتابع باول حديثه ليؤكد اعتزام واشنطن إلغاء تعديل (جاكسون-فانيلك) الذي يعد كمقياس يعتمد إلى ضمان منح الدول الشيوعية علاقات تجارية طبيعية، مقابل تحسين سجلها في مجال حقوق الإنسان وخاصة الهجرة. وكانت روسيا قد أبدت انزعاجها من هذا التعديل مرارًا خاصة بعد سقوط الاتحاد السوفيتي¹⁶⁹.

وخلال تلك الفترة ظهرت علامات أخرى للموقف الروسي؛ فبحلول مارس/آذار 2003 أعلن بوتين تأييده العلني للموقف الفرنسي المعارض للحرب، واصفًا إياها بأنها "انتهاك مباشر للقانون الدولي وخطأ سياسي كبير"¹⁷⁰. بالإضافة إلى هذا، ظهرت كثير من الادعاءات التي تحدثت عن قيام روسيا بنقل أسلحة لصدام حسين عبر سوريا، خلال الأسابيع الأخيرة التي سبقت بدء الغزو الأمريكي. وعلى وجه الخصوص، تحدث جون شو، نائب مساعد وزير الدفاع الأمريكي، أن القوات الروسية عملت مع المخابرات العراقية بشكل "شبه مؤكد" على إزالة المواد شديدة الانفجار التي فقدت من منشأة القعقاع لإنتاج الأسلحة جنوب بغداد¹⁷¹.

يوضح يفغيني بريماكوف، السياسي الروسي، الموقف الروسي حول حرب العراق: "موقفنا من الحرب في العراق كان قائماً على أساس أن الحرب هناك من شأنها أن تزيد من تقسيم العالم على أسس دينية، وزعزعة استقرار العديد من الأنظمة المعتدلة في الشرق الأوسط، وإضعاف الدعم الدولي الذي تتمتع به الولايات المتحدة بعد 11 سبتمبر". ويتابع: "فعلت روسيا كل ما بوسعها لإيقاف غزو العراق". مستدعيًا أن بوتين أرسله إلى بغداد في فبراير/شباط 2003، حيث حاول إقناع صدام حسين بالاستقالة وقتها، لكن دون أن يستجيب صدام لمطالبه¹⁷².

وفي النهاية تخلى الكرملين عن صدام حسين، عندما أصبح واضحًا أمام الجميع أن الحرب على الأبواب. ويمكن تفسير هذا التحول في موقف روسيا بسوء تصرف صدام حسين وأخطائه. بالإضافة إلى أن صورة صدام حسين الدولية سيئة جدًا، ولا يمكن لروسيا أن تدعم جيشه في مواجهة الولايات المتحدة¹⁷³.

بعد انتهاء الحرب، حافظ الكرملين على النظر إلى مصالحه في العراق فوق كل اعتبار، فحاول بوتين جاهدًا الحفاظ على علاقات جيدة مع جميع اللاعبين في العراق؛ بما فيهم الولايات المتحدة، صدام حسين ومعارضوه؛ لضمان الوصول إلى النفط العراقي بغض النظر أيًا كان المنتصر في هذه الحرب.

في الوقت نفسه سجلت تصريحات بوتين المعارضة لحرب العراق نقاطاً محلية هامة خلال التحضير للانتخابات عام 2004، والتي سعى من خلالها بوتين للحفاظ على صورته كزعيم قومي قوي في ظل هجوم بيسلان(المذكور في مقدمة الكتاب). أكسبته هذه المعارضة مصداقية كبيرة بين الجهات المعادية للولايات المتحدة في الشرق الأوسط كسوريا وإيران، لوقوفه ضد النظرة الأحادية للولايات المتحدة، متحدّثين عن "عالم متعدد الأقطاب"، وهو ما تحدث عنه بوتين سابقًا أيضًا.

وفي ديسمبر/كانون الأول 2003 أخبر بوتين الوفد العراقي الزائر لروسيا أنه على استعداد لشطب الديون الروسية المستحقة على بغداد (8 مليارات دولار)، وأضاف بوتين: "نأمل بشدة في أن تبني روسيا علاقات طيبة مع القيادة الجديدة في العراق". وأكد عبد العزيز الحكيم، رئيس مجلس الحكم العراقي المعين من الولايات المتحدة، أن هذا "الوعد السخي" جاء في مقابل منح الشركات الروسية فرص الوصول إلى العراق. وذكرت تقارير صحافية أن مسؤولين روساً اقترحوا أن شطب هذه الديون سيرتبط بشكل وثيق بوصول الشركات الروسية إلى العراق وخاصة النفطية منها¹⁷⁴. وبعد الحرب، ركز الكرملين أكثر على استعادة ما فقد ولم ينفذ من عقود في العراق، وحقق بعض النجاح الفعلي في ذلك واسترجع بعضًا من نفوذه.

أصبح هذا الأمر أكثر أهمية لروسيا، خاصة مع ارتفاع أسعار النفط، فبعد أن وصلت إلى 30 دولاراً للبرميل الواحد في مطلع العام 2004، زادت لتصل إلى الضعف مع نهاية العام 2004 متجاوزة حاجز 56 دولاراً للبرميل الواحد في شهر أكتوبر/تشرين الأول من ذلك العام¹⁷⁵. علاوة على ذلك، تسبب ضعف موقف الولايات المتحدة الإقليمية في خلق المقاومة العراقية وصعودها، وهو ما أعطى بوتين فرصة جيدة للتدخل.

في عام 2005 وافق الكرملين على شطب جزء كبير من ديون العراق القديمة، فضلًا عن تقديم لوك أويل (Lukoil) الروسية لمساعدات إنسانية ضخمة للعراق قدرت قيمتها بملايين الدولارات¹⁷⁶. وفي فبراير/شباط 2008 تنازلت روسيا عن كل الدين العراقي الذي وصل إلى 12.9 مليار دولار¹⁷⁷.

ومنذ 2009 حصلت شركتنا "لوك أويل" و"غازبروم" - على العديد من العقود في العراق¹⁷⁸. وخلص أحد المحللين في يونيو/حزيران 2011 إلى أن "مزيّدًا من مشاركة روسيا في العراق سوف تلقى استقبالا حسنا من قبل العرب، الذين ينظرون إلى موسكو باعتبارها منافسًا تقليديًا وثقيلًا في وجه الولايات المتحدة"¹⁷⁹.

وفي عام 2012 وقع الكرملين على صفقة أسلحة مع الحكومة العراقية تصل قيمتها إلى 4 مليارات دولار، ويعد هذا الاتفاق أكبر صفقة تمت بدفعة واحدة في عهد بوتين. ساهم هذا الاتفاق في جعل العراق ثاني أكبر مشترٍ للأسلحة الروسية بعد الهند، ومتساويًا مع الصين، وفق ما نشرته شركة "روستيك" الروسية المتخصصة في صناعة الأسلحة في تقاريرها¹⁸⁰.

ساهم هذا الاتفاق في جعل روسيا ثاني أكبر مورد للسلاح للعراق بعد أمريكا¹⁸¹. ووفقًا لتقارير الصحف الروسية، فقد بدأت روسيا بتسليم الأسلحة إلى الجانب العراقي في أكتوبر/تشرين الأول¹⁸² 2013، بعد تأخير الصفقة بعض الوقت بسبب تحقيقات وادعاءات الفساد داخل مجلس النواب العراقي.

في أكتوبر/تشرين الأول 2013 أيضًا، أعلن بوتين العراق باعتباره شريكًا مهمًا لروسيا في الشرق الأوسط، وأعلن عن استعداد روسيا لمساعدة العراق بما في ذلك المساعدة في مجال التعاون العسكري التقني¹⁸³. وفي أبريل/نيسان 2015 قال أنري كوزايف، رئيس العمليات في شركة "لويك أويل" خارج روسيا، إن الشركة تخطط لجعل حقل غرب القرنة الثاني واحدًا من أكبر الحقول المنتجة في العراق سنويًا¹⁸⁴.

التواصل الروسي مع كردستان

لم يقتصر تواصل موسكو على بغداد فحسب، بل تعداها ليصل إلى كردستان العراق، ليظهر مرة أخرى عزم الكرملين الجاد على العمل مع الجميع، حتى إنه جازف بمثل هذه الخطوة مما أثار غضب بغداد، وتسبب في فقدان موسكو بعض العقود مع الحكومة هناك. فشركة "لويك أويل" على سبيل المثال، أدت دورًا رئيسيًا كمصدر مهم للطاقة في كردستان العراق، وفي عام 2012، وقعت "غازبروم للنفط" صفقتين مع الحكومة الإقليمية في كردستان العراق؛ ما جعلها الشركة النفطية الرابعة الكبيرة التي تدخل إلى المنطقة، في منافسة كل من شيفرون وأكسون موبيل الأمريكيتين وتوتال الفرنسية.

وفي فبراير/شباط 2013 قام مسعود بارازاني، رئيس إقليم كردستان العراق، بزيارة رسمية إلى روسيا، في سابقة تعد الأولى من نوعها، لتعزيز العلاقات بين الجانبين. يذكر أن والد مسعود بارازاني "مصطفى" أمضى ما يصل إلى 12 عامًا في المنفى بالاتحاد السوفييتي. وفي نهاية هذه الزيارة وقع الطرفان على عقود اقتصادية مكنت شركة "غازبروم نفط" من الدخول في مشاريع نفطية في إقليم كردستان، وتحديدًا مشروع حلبجة، والذي يعد ثالث مشروع نفطي روسي في كردستان العراق حتى اليوم¹⁸⁵. بغداد من جهتها تعاملت بتوازن مع هذا السلوك؛ بسبب رغبتها في شراء أسلحة روسية.

انتقاد حرب العراق

انتقدت الحكومة الروسية منذ العام 2003 التدخل الغربي في العراق أكثر من مرة، خاصة بعد تصاعد العنف الطائفي بعد الانسحاب الأمريكي من العراق أواخر العام 2011، وما شكلته الحرب

السورية من وقود للتمرد في العراق. ووفقًا لوزر الخارجية الروسي، سيرغني لافروف، في تصريحه الذي تحدث به في يونيو/حزيران 2014، بعد تزايد أحداث العنف في العراق: "إن ما يحدث في العراق هو توضيح للفشل الكامل للمغامرة التي بدأت في المقام الأول من جانب الولايات المتحدة بدايةً، وسمحوا بخروج الأمور عن نطاق السيطرة بهذا الشكل"¹⁸⁶.

ووفق ما صرح به المتحدث باسم وزارة الخارجية الروسية، ألكسندر لوكاشيفيش، خلال الشهر نفسه "من الضروري التوصل إلى استنتاجات صحيحة عن مدى خطورة مغازلة المتطرفين من المشارب كافة، والاسترشاد بمعايير مزدوجة، والتدخل في شؤون الدول الداخلية، بما في ذلك التدخل العسكري"¹⁸⁷. وفي يونيو/حزيران 2015، وفي منتدى الاقتصاد الدولي في سان بطرسبرغ، أكد بوتين بنفسه أن الولايات المتحدة دمرت العراق، البلد الذي لم يحتو على أي وجود لتنظيم القاعدة، حيث خلقت أمريكا فيه فراغًا في السلطة، قامت لاحقًا داعش بملئه، وفق بوتين¹⁸⁸.

مع ذلك، ساعد عدم الاستقرار هذا في العراق روسيا بشكل عام بمختلف الطرق؛ مثل المحافظة على أسعار النفط في حدود مرتفعة، وزيادة الطلب على النفط الروسي. وفي عام 2002 على سبيل المثال، أصبحت روسيا من بين الشركاء الرئيسيين للعراق على المستوى الاقتصادي متجاوزة دولًا كمصر وفرنسا¹⁸⁹.

من المنظور الجيوستراتيجي، لم يكن نجاح الولايات المتحدة في العراق ضمن اهتمامات بوتين أو في مصلحته؛ نظرًا لأن أمرًا كهذا ينطوي على امتلاك واشنطن لتأثير أكبر في الشرق الأوسط. وحتى في وقت مبكر من الألفية الجديدة، نظر الكرملين إلى توسع الناتو على أنه تعدي على مناطق النفوذ الروسي.

ظلت القوقاز غير مستقرة، والصين كسبت نفوذًا أوسع في أقصى شرق روسيا¹⁹⁰. وأعرب الكرملين مرارًا عن دعمه وحدة العراق¹⁹¹، ولكن كما أظهر هذا القسم، فإن سلوك روسيا ينبع من الاهتمام بمصالحها الذاتية دون أي مخاوف أيديولوجية، وفي هذا الإطار، أولى الكرملين أهمية لتأثيره ونفوذه على كل من بغداد وأربيل عاصمة كردستان العراق. وفي الوقت نفسه، عادة ما استغلت روسيا دعايتها في مقاومة الغرب لخدمة مصالحها الاقتصادية.

DRAKS

للدراستات والاستشارات • FOR STUDIES & CONSULTATIONS

الفصل السابع: سوريا

منذ ستينيات القرن الماضي كانت موسكو أقرب حليف لدمشق. وما بين عامي 1963 و1991 درس ما يصل إلى 50 ألف طالب سوري في أعلى المعاهد والمدارس الروسية، كجامعة موسكو الحكومية وجامعة صداقة الشعوب. وخمس هؤلاء الطلاب تحديداً درسوا العلوم العسكرية في الأكاديميات العسكرية الروسية المختلفة.

وخلال هذه الفترة أيضاً زودت موسكو دمشق بمعدات عسكرية تصل قيمتها إلى 26 مليار دولار¹⁹². ساهم الاتحاد السوفييتي أيضاً في بناء الأسلحة الكيماوية السورية، في المقابل، انتقل العديد من الروس إلى سوريا خلال الحرب الباردة، ووقعت حالات كثيرة من التزاوج المختلط بين الشعبين.

فيما يتعلق بالتبادل الطلابي، سعت القيادة السوفييتية إلى استقطاب الطلاب المتفوقين من الدول الحليفة بحيث تستطيع الاعتماد على دعمهم لاحقاً. ولأن سوريا كانت المفتاح الرئيسي لموقف الاتحاد السوفييتي في الشرق الأوسط، سمي السوريون بـ"الحلفاء" و"الأصدقاء" في الأماكن العامة والبيانات والدعايات السوفييتية.

في عهد يلتسين، تراجعت سوريا إلى آخر قائمة الأولويات الروسية، لكنها لم تختفِ قط. وفي حين أفادت الأنباء أن سوريا بدأت بإنتاج الأسلحة الكيماوية الخاصة بها في منتصف التسعينيات، بما في ذلك الغازات شديدة السمية كغاز الأعصاب الـ15 (highly toxic nerve agent)، أشارت العديد من التقارير إلى أن موسكو تابعت تطويرها للأسلحة الكيماوية السورية خلال تلك الفترة¹⁹³.

وبشكل عام، تم تعزيز العلاقات بين الجانبين بشكل أكبر في عام 1996، حينما بدأ يفغيني بريماكوف، من منصبه مديراً لجهاز الاستخبارات الخارجية الروسية، جهوده لاستعادة النفوذ الروسي في الشرق الأوسط. كانت موسكو ترغب في بيع الأسلحة إلى سوريا، التي يظن الروس أن بمقدور رئيسها حينها، حافظ الأسد، المساعدة في استعادة التوازن مع واشنطن وإسرائيل في المنطقة.

في مايو/أيار 1999 وقعت روسيا وسوريا على اتفاقية لـ"التعاون السلمي في مجالات الطاقة النووية" وبمدة تصل إلى 10 سنوات، وفي يوليو/تموز من ذلك العام، قام الأسد بزيارة رسمية إلى موسكو بهدف تعزيز الروابط والصلات مع الجانب الروسي. أعرب الرئيس السوري حينها عن دعمه جهود الكرملين لبناء "العالم متعدد الأقطاب" من دون أي إملاءات أجنبية¹⁹⁴.

استلم بشار الأسد مقاليد الرئاسة في سوريا بعد وفاة والده في يونيو/حزيران 2000، تحديداً بعد 3 أشهر من فوز بوتين بالانتخابات الرئاسية في روسيا. وفي أعقاب هجمات 11 سبتمبر/أيلول 2001، سارع بوتين لتقديم التعازي لواشنطن ودعم حربها على الإرهاب؛ لأنه في رأيه، وكما قال، كان يقاتل نفس التمرد المتطرف شمالي القوقاز. وبالمثل، قدم الأسد نفسه إلى الغرب بوصفه زعيماً علمانياً مكافحاً للتطرف السني في بلاده.

لاحقاً، عارضت كل من روسيا وسوريا حرب العراق؛ نظراً للتهديد الذي تشكله لمصالح واستقرار البلدين وقادتهما. بوتين والأسد كانا يخشيان أن الحرب على صدام قد يتبعها حروب مشابهة تستهدفهم، تماشياً مع حملة تعزيز الديمقراطية حينها. ومع استمرار القتال في العراق، سمحت سوريا للمقاتلين السنة المتطرفين من جميع أنحاء المنطقة بالعبور إلى العراق عبر الأراضي السورية. وبينما قامت سوريا بدعم المتمردين ضد الولايات المتحدة، قامت روسيا في الاتجاه الآخر

بتسليط الضوء على الإسلام الراديكالي، عبر كيل الكرملين بمكيالين: القمع في روسيا، والدعم في الخارج ما دام الأمر مناسبًا لموسكو وتطلعاتها.

شهدت العلاقات بين الطرفين لاحقًا دفعة جديدة، بعد أن اجتمع بوتين والأسد في 24 يناير/كانون الثاني 2005، عندما أعلنت موسكو شطبها معظم ديون سوريا، بالإضافة إلى بيع الأسلحة لدمشق في مقابل سماح سوريا بإنشاء مرافق بحرية روسية دائمة في طرطوس واللاذقية. ووفق الاتفاق، شطبت روسيا ما يصل إلى 9.8 مليار دولار من أصل 13.4 مليار دولار قوام ما استدانته سوريا منها¹⁹⁵. من وجهة نظر موسكو، فإن توثيق العلاقة مع سوريا يأتي في إطار الرد على ما تراه موسكو "عسكرة السياسة الخارجية الأمريكية".

وفي دليل آخر على تعمق العلاقات بين روسيا وسوريا، وبعد حادثة اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري عام 2005، وهي الحادثة التي كانت سوريا موضع اشتباه شديد بها، عملت روسيا على إضعاف أي قرار لمجلس الأمن يجبر سوريا على التعاون الكامل مع لجنة التحقيق؛ لأن المحكمة الدولية انتهكت، من وجهة نظر موسكو، سيادة الدولة "فرضت قرارات على لبنان من جانب واحد". ووفقًا في مايو/أيار 2007، بعد أن عطلت روسيا الإجراءات شهورًا، مرر مجلس الأمن القرار رقم 1757 الذي يجيز إنشاء محكمة خاصة بلبنان¹⁹⁶. وفي تصريحات لاحقة واصل المسؤولون الروس التركيز على أهمية السيادة حال الإشارة إلى أي محكمة كانت¹⁹⁷.

بوتين من جهته قدم توضيحًا مشابهًا لحادث آخر، حيث تعالت الأصوات المطالبة بتحقيق واضح في حادثة قتل أليكسندر ليتفيننكو، الضابط الروسي السابق في جهاز الأمن الاتحادي والكي جي بي، والذي كان قد انشق وانتقل إلى بريطانيا، وهناك سرب بعض المعلومات عن علاقات بوتين بالماфия الروسية، قبل أن يتعرض للتسمم بغاز البولونيوم-210 في نوفمبر/تشرين الثاني 2006¹⁹⁸.

وفي 2008، كان الأسد واحدًا من بين الزعماء القلائل الذين دعموا الغزو الروسي لجورجيا بشكل تام. ووفقًا لتقارير صحفية روسية، استغل الأسد هذه الفرصة لطلب صواريخ إسكندر وبعض الأسلحة الأخرى من الرئيس الروسي حينها ميدفيديف؛ وذلك لأن إسرائيل قامت، وفق الأسد، بتوفير أسلحة وتدريب للقوات الجورجية.

الحكومة السورية من جهتها نفت أن يكون الأسد قد أعرب عن استعداده لاستلام هذه الأسلحة، وسابقًا منع الكرملين توريد هذه الأسلحة إلى سوريا خوفًا من أن تشكل ضررًا على إسرائيل في أي وقت¹⁹⁹. وفي ختام لقائهما في 2008، قال لافروف للصحفيين، إن روسيا سوف تعمل على توريد أسلحة دفاعية في المقام الأول إلى سوريا، والتي "لن تضر بالتوازن الاستراتيجي في المنطقة". ومع هذا، فإن روسيا ستعمل على دراسة طلبات التسليح السورية الجديدة²⁰⁰.

لاحقًا وبعد عدة أيام من هذه الزيارة، أعلن القائم بالأعمال الروسي في دمشق، إيغور بيليايف، عن توجه روسيا لزيادة وجودها البحري قبالة السواحل السورية في البحر الأبيض المتوسط²⁰¹. وفي السنوات التالية ظهرت روسيا كمورد أسلحة رئيسي للنظام السوري.

واعتبارًا من العام 2007 وحتى 2010، وصلت مبيعات السلاح الروسي إلى سوريا إلى قرابة 4.7 مليار دولار؛ أي أكثر من ضعف الرقم المسجل خلال السنوات الأربعة الماضية وفقًا لخدمة أبحاث الكونغرس²⁰². ووفقًا لمعهد ستوكهولم لأبحاث السلام، وفرت روسيا ما يصل إلى 78% من مشتريات الأسلحة السورية ما بين عامي 2007 و2010. وتشير التقارير الصحفية إلى أن الشركات الروسية استثمرت ما يصل إلى 20 مليار دولار في سوريا منذ العام 2009²⁰³.

ومع اندلاع أحداث الانتفاضة السورية في مارس/آذار عام 2011، دعم الكرملين الأسد بشكل لا لبس فيه، بغض النظر عن البيانات المتناقضة. فالكرملين ساهم في تسليح قوات الأسد، وعمل على حمايته من أي قرار يصدر ضده في مجلس الأمن، ووافق الكرملين أيضًا على أخذ النفط الخام من سوريا مقابل المنتجات النفطية المكررة؛ للحفاظ على البلاد والجيش والاقتصاد فضلًا عن القروض المقدمة للحيلولة دون إفلاس سوريا.

وعلى الرغم من إصرار الكرملين على أنه عارض استخدام الأسلحة الكيميائية طوال فترة الأزمة، إلا أن روسيا منعت مجلس الأمن إصدار إدانة واسعة النطاق ضد استخدامها، على الرغم من عدم إلقاء هذه القرارات اللوم على أي طرف معين²⁰⁴.

وفي صيف 2013، وفي أعقاب هجوم بغاز السارين السام في إحدى ضواحي دمشق، ساهمت موسكو في التوسط لاتفاق يضع الترسانة الكيميائية السورية تحت الرقابة الدولية؛ لتجنب نظام الأسد ضربات عسكرية دولية. ومع ذلك، يُقال إن نظام الأسد حافظ على بعض هذه الأسلحة لاستخدامها ورقة مساومة في مراحل لاحقة²⁰⁵.

وفي أغسطس/آب من عام 2015، حقق مجلس الأمن الدولي في هجمات الكلور التي نفذت في سوريا، وأوضح الغرب اعتقاده بمسؤولية الأسد عنها. لكن لافروف أكد لاحقًا في خضم التحقيق أن عملية إزالة ترسانة الأسلحة الكيميائية السورية كانت ناجحة بشكل لا لبس فيه. وقال لافروف في تصريحاته: "تخرج بعض المنشورات لتتحدث عن وجود أسلحة كيميائية لم يعلن عنها في سوريا، لقد تم تفقد كل شيء، ويجب علينا تجنب الاتهامات التي لا أساس لها. نملك كل ثقة بأن سوريا ستواصل التعاون معنا عن كُتب". وحتى 10 سبتمبر/أيلول 2015 هددت روسيا باستخدامها حق النقض "الفيتو" بهدف منع جهود مجلس الأمن للتحقيق في هذه الهجمات²⁰⁶.

شاركت السفن الروسية في حوادث تتعلق بسوريا في المياه الدولية؛ ففي صيف عام 2009، وحتى قبل اندلاع أحداث الانتفاضة السورية، تعرضت سفينة الشحن "اركتيك سي" التي كانت تحمل الأخشاب للاختطاف قبالة سواحل السويد، في حادثة القرصنة الأولى في بحر البلطيق منذ مئات السنين²⁰⁷. سارعت روسيا حينها إلى نشر قواتها البحرية لتحديد موقع السفينة المملوكة من شركة فنلندية ويديرها طاقم روسي. وفي غياب تام لأي معلومات، تكهنت بعض الادعاءات بأن السفينة كانت محملة بأسلحة لسوريا وإيران، وأن الخاطفين يعملون لإسرائيل²⁰⁸. ووفقًا لتارموكوتس، مقرر الاتحاد الأوروبي عن القرصنة، فقد قال: "فقط وجود صواريخ كروز على متن السفينة، يمكن أن يفسر سلوك روسيا الغريب هذا". وأشار كوتس أيضًا إلى أن استجابة روسيا لحالة الطوارئ كانت أقوى بكثير من ردها بعد "مشاركتها في أزمة القرصنة الصومالية الأخيرة"²⁰⁹. ووصف كبار المدعين الإسبان الحادث بأنه "مثال واضح" على الاتجار بالأسلحة.

تتابعت الحوادث بعد 2010 وفق ما يلي:

- في يناير/كانون الثاني 2012، اعترض مسؤولو الجمارك القبرصية سفينة روسية محملة بالسلحاح كانت في طريقها إلى سوريا²¹⁰

- في يونيو/حزيران 2012، اضطرت سفينة روسية محملة بالأسلحة إلى العودة إلى الميناء بعد أن قامت شركات التأمين البريطانية بسحب الغطاء عنها، كانت السفينة محملة بعدد كبير من

الأسلحة بما في ذلك حوامات هجومية من طراز Mi-25.²¹¹ أكدت وزارة الخارجية الروسية أن هذه الأسلحة كانت في طريقها لنظام الأسد.

- في فبراير/شباط 2013، حقق مسؤولو الجمارك الفنلندية في شبهة تهريب أسلحة، بعد اكتشافهم قطع غيار دبابت في حاويات كانت متجهة من روسيا إلى سوريا²¹²، فيما يعد انتهاكاً لعقوبات الاتحاد الأوروبي المفروضة على النظام السوري.

- زعمت تقارير أخرى أن روسيا قامت بإرسال أسلحة إلى سوريا عبر موانئ البحر الأسود إلى ميناء طرطوس السوري.

وفر الكرملين للأسد عددًا كبيرًا من القروض كذلك؛ فوفقًا لسجلات الطيران التي حصل عليها (بروبابليكاً ProPublica) أرسلت موسكو إلى سوريا ما يزيد على مئتي طن من "الأوراق النقدية" للنظام السوري في صيف عام 2011، خلال الفترات التي شهدت تباطؤ الاقتصاد السوري بعد تصاعد القتال. ساعدت هذه الشحنات المالية في منع إفلاس نظام الأسد، وسمحت له بدفع رواتب جنوده حتى في ظل تضائل احتياطات النقد الأجنبي في سوريا.

وفي حين تشكل إمدادات السلاح عوامل عسكرية هامة في العلاقة بين بوتين وسوريا، إلا أن الجانب السياسي يحتل أهمية أكبر؛ كالوقوف في وجه الغرب، ونفي العجز الروسي، في حين تستعيد روسيا منزلتها قوة عظمى، لتشير إلى أن الغرب لن يدعم الدول الصغيرة في حال حاولت الخروج من تحت نفوذ موسكو، كما فعل مع جورجيا. فالكرملين ينظر إلى الأمر أن حماية الأسد ليست عملية مرتبطة بالقائد، بل هي مرتبطة أكثر بتعزيز قدرة روسيا على التأثير في الأحداث في الشرق الأوسط²¹³، كما هو الحال في أوروبا الشرقية ومناطق الاتحاد السوفييتي سابقًا.

انطلاقًا الثورات الملونة التي اجتاحت فضاء ما بعد الاتحاد السوفييتي، وإلى حد ما الشرق الأوسط، وإرفاقها مع الاحتجاجات المحلية السلمية في روسيا في 2011 و2012، بوتين يملك مصلحة في ضمان فشل أي جهد داعم للديمقراطية²¹⁴. وهنا كان تضخيم أهمية سوريا في حساب الكرملين الاستراتيجي. وكما يخلص طلال نظام الدين²¹⁵ في كتابه الأخير "سببين لنا التاريخ يومًا أن السياسة الروسية تجاه سوريا كانت صاحبة البصمات الأكبر في عصر بوتين، بما في ذلك الاتجاه الذي سحبت السياسة الروسية نحوه"²¹⁶.

الفصل الثامن: الأردن ودول مجلس التعاون الخليجي وإسرائيل

سعى الكرملين إلى إيجاد علاقات متميزة مع العواصم الشرق أوسطية من عمان إلى الرياض فالقدس، وتقدّم حيثما تراجع الغرب.

الأردن ودول مجلس التعاون

عام 2004، وبعد حادثة بيسلان، سعى بوتين للتواصل مع القوى السنية التقليدية الحليفة للغرب، ومن ضمنها السعودية والأردن والإمارات، إضافة إلى مصر (انظر الجزء الرابع). وهذا التوجه بدأ وسط حالة من تراجع الحضور الإقليمي للولايات المتحدة بسبب غزوها العراق. وفي الوقت نفسه حاول بوتين الحفاظ على علاقات طيبة مع "إسرائيل"، وهي علاقة حصد نتائجها منذ وصوله للسلطة بعد فترة باردة تحت عهد وزير الخارجية بريماكوف (1998-1999) الذي كان ميّالاً للعرب²¹⁷.

وبعد عام 2000، التقى بوتين وملك الأردن عبد الله مرات عديدة. إضافة إلى ذلك، قام رؤساء ولايتي الشيشان وأنغوشيا بزيارة الأردن مرات عديدة بين عامي 2005-2007، مع الأخذ بالاعتبار أن هنالك ما يقارب الـ100 ألف شمال قوقازي يعيشون في الأردن. والرابط الشمال القوقازي مهم بالنسبة لبوتين. وكتنازل للقوى السنية الإقليمية فإن الكرملين وافق على فرض عقوبات، وإن كانت باهتة، على إيران في ديسمبر/كانون الأول 2006 ومجدداً في مارس/آذار 2007.

وفي فبراير/شباط 2007 قام بوتين بزيارة السعودية وقطر، وهذا ما لم يفعله أي رئيس روسي أو سوفيتي من قبل. وتبعها عدد من الزيارات المتبادلة الرفيعة المستوى في السنين اللاحقة. وبينما قام بوتين بمد يد العون لإيران في مجال التكنولوجيا النووية، فإنه أيضاً سعى لتسويق الصناعة النووية الروسية في الأردن ومصر والخليج؛ ولأن هذه الدول معادية لإيران فإنها سعت لمجاراة الجمهورية الإسلامية تكنولوجياً. لذلك كان هناك سبب مقنع لبوتين لمحاولة إبعاد تلك الدول عن الغرب. فشركات غازبورم ولوكأويلوروزنيفت (Rosneft)، إضافة إلى شركات روسية أخرى لم تسع لعقد صفقات فقط مع إيران والعراق، وإنما أيضاً مع السعودية وقطر، حيث كان بوتين يقوم بعقد صفقات كبرى من ضمنها الصيرفة الروسية، والصناعات الفضائية، وصفقات السلاح، والمشاريع المشتركة في النفط والغاز²¹⁸.

وشهد العام 2007 صعوداً سريعاً للتبادل التجاري والتعاون الاقتصادي الروسي الأردني. وبحسب "المجلس الروسي الأردني للأعمال" فإن التبادل التجاري الثنائي "نما بشكل هائل وبلغ 169 مليون دولار (في فترة 10 شهور عام 2007) مقارنة بـ64.8 مليون دولار فقط عام 2006"²¹⁹. وفي الخليج نما الحضور الروسي الدبلوماسي والتجاري بشكل مبالغت كذلك، وصولاً إلى حوار خليجي روسي استراتيجي بدءاً من نوفمبر/تشرين الثاني عام 2011، والذي ركّز على قضايا متنوعة من الأمن مروراً بالتجارة والاستثمار وصولاً إلى التبادل الثقافي.

وفي نوفمبر/تشرين الثاني عام 2013، استضافت عمان الاجتماع الأول لـ"اللجنة الروسية الأردنية الحكومية لتنمية التجارة والاقتصاد والتعاون التقني العلمي"، الذي رحّب فيه الملك عبد الله بما أسماه "الحدود الجديدة" للشراكة الثنائية، مشيراً بشكل محدد إلى خطط استخدام التكنولوجيا الروسية لبناء محطة الطاقة النووية الأولى في الأردن²²⁰. وبالفعل وقّعت الأردن في مارس/آذار 2015 أول صفقة مع موسكو لبناء المحطة بقيمة 10 مليارات دولار²²¹.

وفي يونيو/حزيران 2015، التقى الأمير محمد بن سلمان مع بوتين بعد "المنتدى الاقتصادي الدولي في بطرسبرغ"²²²، ووقع 6 اتفاقيات من ضمنها اتفاقية تعاون نووية تنص على معاونة روسية لبناء 16 محطة طاقة ذرية في السعودية. وبحسب (انترفاكس روسيا Russia's interfax) فإن هذه الاتفاقية "تبنى أساساً قانونياً للتعاون بين البلدين لأول مرة في تاريخ العلاقات الروسية السعودية"²²³. وشملت الاتفاقيات الأخرى التعاون الفضائي، وتنمية البنية التحتية، والسلاح الروسي²²⁴. وفي يوليو/تموز 2015، التزمت السعودية باستثمار 10 مليارات دولار في روسيا، وهي الاتفاقية الكبرى مع المملكة الصحراوية حتى اليوم²²⁵.

إلا أنه لا ينبغي المبالغة في تقدير هذه الاتفاقيات، فالعلاقات السعودية الروسية كانت عدائية بشكل كبير تاريخياً. وتحديداً كان بوتين ممتعضاً من التحالف السعودي الأمريكي، واتهم المسؤولون الروس السعودية بدعم الإرهاب السني داخل روسيا. مع ذلك، توحى هذه الأحداث الجديدة بالتخوف السعودي من السياسات الأمريكية في المنطقة، خاصة في سوريا. وفي يوليو/تموز قال نائب رئيس لجنة الشؤون الدولية في مجلس الشيوخ الروسي، أندريه كليموف: إن "الواقع يحرك روسيا والسعودية معاً... فالسعوديون أدركوا أنه لا يمكنهم الاعتماد على الولايات المتحدة في كل شيء، وأن هناك ميزة معتبرة في تطوير العلاقة مع روسيا"²²⁶.

أما بالنسبة لروسيا والأردن، ففي 23 أكتوبر/تشرين الأول من عام 2015 اتفقت الدولتان على تنسيق عملياتهما العسكرية في سوريا. وأسست "غرفة عمليات خاصة" في عمّان مما يوحي بأن الأردن، وهو حليف تقليدي آخر للغرب متخوف من سياساته، يقترب من موسكو. وفي تعليق على هذه الترتيبات قال وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف: "نحن نظن أن الدول الأخرى المشاركة في الحرب ضد الإرهاب بإمكانها الانضمام لهذه الغرفة كذلك"²²⁷.

وفي ظل استمرار الازدواجية والتردد الغربي في استخدام قوة أكبر في القضية السورية، قام بوتين بعبور خط أحمر حسّاس من جديد. فسعيه للوصول إلى الدول السنية الحليفة تقليدياً للغرب عبر سياسة العصا والجزرة يكشف عن رغبته في استبدال الغرب كموفر للحماية في الشرق الأوسط. وبينما يستمر الغرب في الثرثرة وتجاهل الحاجات الأمنية الحقيقية لحلفائه، حصل بوتين على اليد العليا، وفاقم الأزمة السورية، بل وزاد من اضطراب المنطقة.

إسرائيل

هناك عوامل عديدة تحدد سياسة بوتين تجاه إسرائيل، الأول: الصراع مع الشيشان، فروسيا قامت بدراسة التشابهات بينها وبين إسرائيل في صراعتها مع الإرهاب. وفي السنين الماضية عُبر عن هذه المقارنة عدة مرات في لقاءات مع مسؤولين إسرائيليين كبار. فأريئيل شارون، المتحدث بالروسية الذي كون علاقة شخصية قوية مع بوتين، وصف القائد الروسي في نوفمبر/تشرين الثاني عام 2003 بأنه "صديق حقيقي لإسرائيل"²²⁸. وكانت إسرائيل من الدول القليلة التي لم تنتقد بوتين بسبب أعماله في الشيشان.

وعامل آخر في سياسة بوتين تجاه إسرائيل هو تأكيد تطوير روابط اقتصادية قوية بالشرق الأوسط، وبناء على ذلك سعى لتعزيز التبادل في مجال التكنولوجيا المتقدمة مع إسرائيل في مجالات أهمها تكنولوجيا النانو²²⁹. وأخيراً، سعى بوتين لدور روسي في عملية سلام الشرق الأوسط آملاً أن يأخذ الدور الغربي، وأن يظهر ببساطة أنه مهم. وبالفعل، تحت حكم بوتين زاد تأثير روسيا وسعى بوتين لترك بصمته في عملية السلام منذ انضمامه إلى الرباعية قبل أكثر من عقد من

الزمان. وفي يونيو/حزيران عام 2012، زار بوتين إسرائيل؛ أي قبل 9 أشهر من أول زيارة لأوباما كرئيس للولايات المتحدة²³⁰. والتقى بالرئيس الإسرائيلي، شيمعون بيريز، في القدس، وقال: إنه "من مصالح روسيا القومية أن توفر الأمن والسلام في الشرق الأوسط، وللشعب الإسرائيلي. وإنه ليس من قبيل المصادفة أن الإتحاد السوفييتي كان من أوائل المبادرين بتأسيس ودعم دولة إسرائيل"²³¹، وهنا تجاهل بوتين التراجع السريع عن هذه السياسة في عهد ستالين بعدما رأى تحالف إسرائيل مع الغرب.

وبالرغم من التحسن في العلاقات الثنائية إلا أن الاختلافات الكبيرة ما تزال باقية. ففي مارس/آذار 2006، زار قادة حماس موسكو بناء على دعوة من بوتين، ونفى بوتين أن حماس منظمة إرهابية. والصعوبات الكبيرة الأخرى بالنسبة لإسرائيل تمثلت في دعم موسكو البرنامج النووي الإيراني وتجارة السلاح مع سوريا؛ أي السلاح الذي بإمكانه أن يصل لحزب الله. فتدخل بوتين في سوريا يساهم فقط في زيادة قلق إسرائيل في هذه الجبهة. وخوفًا من سياسات الولايات المتحدة في السنوات الأخيرة عملت إسرائيل على تحسين علاقاتها مع روسيا ومع القوى السنية الإقليمية. ويبدو أن اجتماع رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، في الحادي والعشرين من سبتمبر/أيلول، أسهم في تخفيف شيء من القلق الإسرائيلي حول التدخل الروسي في سوريا²³³، إلا أن الضربات الروسية الأخيرة في جنوب سوريا بإمكانها فقط أن تشير إلى مخاوف إسرائيلية أكبر في حال وسع حزب الله وإيران من حملتهما على الأرض هناك. وهذه الأحداث تشير مرة أخرى إلى حاجة الغرب إلى تلبية احتياجات حلفائه في المنطقة كيلا ينجروا وراء روسيا.

IRAK

للدراستات والاستشارات • FOR STUDIES & CONSULTATIONS

الفصل التاسع: تركيا

عندما تسلم بوتين منصبه كانت علاقات روسيا بتركيا، رغم المشاكل المستديمة، في تصاعد، وسعى الرئيس الروسي الجديد لزيادة هذا التصاعد²³⁴. وكان سبباً من أسباب التعاطف المشترك سكوت أنقرة عن انتهاكات روسيا لحقوق الإنسان في الشيشان. وفي ديسمبر/كانون الأول عام 1999 ضغط بوتين باتجاه سماح البرلمان بمليون ونصف مليون دولار إعفاءات ضريبية لبناء أنابيب "البلو ستريم" (Blue Stream pipelines) التي تنقل الغاز من روسيا مباشرة باتجاه تركيا، مروراً ببعض الدول في المنتصف²³⁵. وفي الشهر نفسه قامت شركتا غازبروم (Gazprom) وإي إن آي (ENI) الإيطالية بتوقيع مذكرة لتنفيذ البلو ستريم بشكل مشترك²³⁶.

وفي أكتوبر/تشرين الأول عام 2000، زار الرئيس الروسي آنذاك، ميخائيل كاسيانوف، تركيا ووقع عدداً من الاتفاقيات وتعهّد بتزويد تركيا بكميات أكبر من الغاز الطبيعي. وقال خلال زيارته: "إن الانطباع الذي أسعى لأخذه معي إلى روسيا هو أن تركيا وروسيا سيرى كل منهما الآخر كشريك لدمافس"²³⁷. وبدأ الكرملين في توسيع مجالات التعاون مع تركيا مثل التجارة وعقود السلاح والقضايا المتعلقة بالإرهاب²³⁸. وفي 2001 قام وزير الخارجية الروسي آنذاك، إيغور إيغانوف، بزيارة رسمية لتركيا أعطت، بحسب الحكومة التركية، "حافزاً جديداً للعلاقات التركية الروسية... وكلا الطرفين اتفقا على إضافة خاصة متعددة الأبعاد لعلاقتهما بتوسيع التعاون الثنائي إلى منطقة أوراسيا"²³⁹. وأصبحت أنابيب البلو ستريم واحدة من عدة أساسيات محورية للتعاون الروسي التركي، وبدأت الإمدادات التجارية للغاز بالتدفق في الأنابيب بدءاً من فبراير/شباط 2003²⁴⁰.

وساعد التراجع في العلاقات التركية الأمريكية بوتين في مساعيه للوصول لأنقرة. فقد قام أردوغان بشجب الأفعال الأمريكية في العراق، ووصفها بأنها "إرهاب دولة"، ولم يقل شيئاً حول انتهاكات حقوق الإنسان التي تقوم بها روسيا في الشيشان. وتحالف روسيا مع تركيا ساعد بوتين في عدة جهات: استطاعت تركيا أن تساعد في احتواء التمرد في الشيشان، وكانت سوقاً كبيراً ونامياً لصادرات النفط والغاز الروسيين، وكانت تركيا في موقف مساند لروسيا في مسعاها لتصبح دولة مراقبة في منظمة التعاون الإسلامي²⁴¹.

وفي نهايات عام 2004، وبعد حادثة بيسلان كثّف بوتين مساعيه للوصول للشرق الأوسط في رحلة ديسمبر/كانون الأول لأنقرة، وهي أول زيارة لرئيس روسي منذ 32 سنة²⁴². وفي ختام الزيارة وقع الزعيمان عدداً من الاتفاقيات²⁴³. وفي منتدى مشترك للأعمال بين روسيا وتركيا قال بوتين: إنه "في الوقت الحاضر تنمو اقتصاديات تركيا وروسيا بشكل حيوي. وجذبهم للمستثمرين والأسواق المحلية في تمام. وهذا الطرف، معزز بالتاريخ الطويل للجهود المشتركة، هو أساس جيد لتعاون واعدٍ ومثمر"²⁴⁴.

ونمت التجارة التركية الروسية بنسبة 60% عام 2004، مقارنة بالنصف الأول من العام 2003²⁴⁵. وفي 2005 قام أردوغان بالزيارة الرسمية الأولى في ذلك العام لموسكو في العاشر من يناير/كانون الثاني، في زيارة أشارت إلى تحسن إضافي في العلاقة²⁴⁶، وتبعتها زيارات عديدة. وفي ذلك العام أشار أردوغان إلى رغبته في رفع التبادل التجاري مع روسيا من 10 إلى 25 مليار دولار سنوياً²⁴⁷. وفي المجمل، استفادت روسيا أكثر من تركيا من هذه العلاقة؛ نظراً للتزايد المرتبط بالاعتماد التركي على الطاقة الروسية.

والتقى بوتين وأردوغان 10 مرات بين عامي 2004 و2009²⁴⁸. وفي عام 2009 أصبحت روسيا أكبر شريك تجاري لتركيا، وفي عام 2014 وصلت التجارة المتبادلة قرابة الـ33 مليار دولار²⁴⁹، وأصبحت

تركيا القبلية الأولى للسياح الروس²⁵⁰. ولكن الخلافات بينهما ظهرت حول الأزمة السورية: فبينما دعم بوتين الأسد بشكل لا لبس فيه، أكد أردوغان أن على الأسد الرحيل. وبالرغم من ذلك استطاع الزعيمان تجزئة القضايا، وفي الجانب الاقتصادي اهتمت المحادثات بمضاعفة التبادل التجاري 3 مرات مع حلول عام 2020²⁵¹.

إلا أن التدخل العسكري الروسي في سوريا قلب الصورة بشكل كبير. ففي رد على اختراقين روسيين للمجال الجوي التركي، في 3 أكتوبر/تشرين الأول 2015، عبر طائرة سوخوي 30 (Su-30)، ومرة أخرى في الرابع من أكتوبر/تشرين الأول، أشار أردوغان إلى البند الخامس من اتفاقية الناتو²⁵². وكتب السفير الأمريكي، جيمس جيفري، أن منطقة هاتاي في جنوبي تركيا يقطنها بشكل جزئي سكان عرب علويون؛ مما يزيد من تعقيد النظرة التركية للتدخل الروسي في سوريا، إضافة إلى انتهاك مجالها الجوي²⁵³. إضافة إلى ذلك، بحسب الجيش التركي، ففي السادس من أكتوبر/تشرين الأول قامت طائرة (29-MiG) غير معرّفة بالتشويش على رادارات طائرات إف 16 (F-16) تركية لمدة 4 دقائق ونصف، عندما كانت تحلق في مهام استكشافية فوق الحدود التركية السورية²⁵⁴.

وفي السادس من أكتوبر/تشرين الأول في مؤتمر صحفي في بروكسل، علق أردوغان أنه "إذا خسرت روسيا صديقًا مثل تركيا التي نسقت معها في كثير من القضايا، فإنها ستخسر الكثير، وعليها أن تعلم ذلك"²⁵⁵. ولعل بوتين كان يظن أن أردوغان لديه القليل من الخيارات، وأنه مجبر على التعاون مع روسيا لاعتماد تركيا على الغاز الروسي، إلا أن اختلافاً على أسعار الغاز في صيف 2015 أقر إتمام خطة بوتين لبناء أنبوب للغاز بقيمة 15 مليار دولار، في تركيا، والذي كان سيسمح لروسيا بنقل الغاز لأوروبا مروراً بأوكرانيا²⁵⁶. وفي السياق الحالي، من غير المتوقع أن تتفق الدولتان على سعر ما. إضافة إلى ذلك حذر أردوغان بعد انتهاك روسيا الأجواء التركية بأنها تخاطر بفقدان العقد المقدر بـ 20 مليار دولار لبناء محطة طاقة نووية في تركيا²⁵⁷. أيضاً فإن تركيا أدخلت أكثر من مليون لاجئ سوري إلى أراضيها، وهذا الرقم مرجح للوصول إلى 3 أو 4 ملايين بعد شتاء 2016، بالتحديد بسبب التدخل الروسي²⁵⁸.

وبعد إسقاط تركيا طائرة سوخوي 24 (Su-24) النفاثة الروسية في 24 نوفمبر/تشرين الثاني، انخفضت العلاقات بشكل حاد، وادعت تركيا أن الطائرة اخترقت أجواءها بشكل جزئي، وأنها أرسلت عدة تحذيرات قبل إسقاط الطائرة. وقبل الحادثة بعدة أيام، نقل عن وزير الخارجية التركي أنه حذر السفير الروسي في أنقرة من أن القصف الروسي "المكثف" للقرى السورية التركمانية في شمال اللاذقية "قد يؤدي إلى عواقب سيئة"²⁵⁹.

وبدوره شجب بوتين إسقاط الطائرة واصفاً الحادثة بأنها "طعنة في الظهر"²⁶⁰، وطلب اعتذاراً من أردوغان الذي رفض التجاوب. وبعد الحادث بأيام أعلن بوتين فرض بعض العقوبات على تركيا "لضمان الأمن الوطني"، ووسع هذه العقوبات في ديسمبر/كانون الأول 2015. ويستمر التوتر بين تركيا وروسيا في السنة الجديدة.

الفصل العاشر: خاتمة

نظرة على سياسة فلاديمير بوتين تجاه الشرق الأوسط توحى بأنها ليست سعيًا وراء مصلحة واضحة وإنما هي سعي وراء ما تمثله المنطقة: مكاسب سياسية واقتصادية، وفرص لخفض التأثير الغربي، وزيادة الشعور العام بأن روسيا هي قوة عظمى، وإعاقة الجهود الرامية لتحقيق سلام حقيقي بهدف الانتفاع من النزاع، ومن أفضل ما وصفت به سياسة روسيا في المنطقة وصف خبير السياسات، ستيفن بلانك، بأنها "تجسيد كلاسيكي لسياسة "مضرب الحماية" في صورة شبيهة لتصرفات المافيا"²⁶¹.

وسبب آخر نجده في السياسة الداخلية للكرملين: انحراف عن المشاكل الداخلية لضمان حفاظ بوتين على السلطة، وإنهاء العزلة الدولية التي نتجت عن ضمه شبه جزيرة القرم في مارس/آذار 2014²⁶².

المستقبل روسيا المجهول

في الواقع، يمكننا بمشقة اعتبار روسيا قوة عظمى؛ فهي تواجه عدداً من المشاكل الداخلية الحرجة: انخفاض كارتشي في عدد السكان، وتحديات صحية هائلة، وركود اقتصادي، وجيش غير مستدام ينفق على حساب التحسينات الضرورية جداً للبنية التحتية، والعديد من المسائل الأخرى. وروسيا تخسر أيضاً معركتها المحلية مع الإسلام الراديكالي، وهو أمر يتوقع أن يزداد سوءاً مع التدخل في سوريا. وبالمؤشرات التقليدية مثل الناتج القومي الإجمالي، وعدد السكان، والقوات المسلحة فإن روسيا تتضاءل أمام الغرب. وكما وصفها الخبير في الشأن الروسي إدوارد لوكاس: "أسلحة الكرملين هي في أحسن الأحوال عضلات مفاجئة ومخادعة ومحتالة وليست حقيقية"²⁶³. ويقول أيضاً: "من وجهة نظر غربية تقليدية، إن مصدر القلق الحقيقي هو القوى الصاعدة لا المتضائلة. إلا ان هذه المنهجية غير سليمة فيما يتعلق بروسيا؛ لسبب واحد وهو أن آفاق التفكك شديدة، مع كامل الشكر لعدم أهلية نظام بوتين"²⁶⁴.

لذلك فإن انتظار خروج روسيا هو المنهج الخاطيء؛ فخروج روسيا ضعيفة سيجعلها أكثر عدوانية وأذية للمصالح الغربية في الشرق الأوسط، كما هو الحال في سوريا. فالإشارة إلى العدو الخارجي والتظاهر بمحاربة الإرهاب العالمي سمحا لبوتين بتجنب المسؤولية عن مشاكل روسيا الداخلية، وأن يصنع نظرة عنه بأنه زعيم عالمي مهم. فقبل ضمه للقرم تضاءلت شعبيته بشكل غير مسبوق²⁶⁵، وبالرغم من أن الضم أسهم في زيادة شعبيته على المدى القصير، إلا أن عليه أن يستمر في اختلاق الأزمات كي يحرف الانتباه الشعبي عن المشاكل الداخلية الروسية، ولربما لن يكون التدخل في سوريا هو آخر مغامراته.

وحتماً، كما تمت الإشارة سابقاً، فإن سياسات بوتين هدفها استدامة وجوده في السلطة. ويبدو أنه مقتنع صدقاً بأن القادة الغربيين لا يتصرفون بشكل مختلف عنه²⁶⁶. وبحسب غليبافلوفسكي، الذي كان مستشاراً لإدارة بوتين من عام 1999 حتى 2011، فإن "بوتين لا يؤمن بأن هنالك منافسة حقيقية بين الأحزاب السياسية في الغرب. إنه يظنها ألعوبة". ويروى عن جورج بوش الابن أنه كان ساخطاً أثناء تعاملاته الخاصة مع بوتين؛ لأن الأخير لم يفهم كيف تعمل الديمقراطيات الغربية²⁶⁷. وفي الدبلوماسية العالمية فإن منهج بوتين يظهر وكأنه متأثر بمنهج لينين: من-من (kto-kogo) أي من سيسيطر على من! إضافة إلى ذلك فإن خبراء روساً أثاروا عدة مرات مخاوفهم من أن سياسات بوتين في الشرق الأوسط قد تؤدي لحالة عدم استقرار أكبر في الداخل الروسي²⁶⁸.

وبالرغم من أن الغرب عموماً يوافق على فكرة "الشعبية العالية لبوتين" وبقائه الأزل في السلطة، إلا أن جميع الاستطلاعات في الدول الشمولية يجب أن تؤخذ في سياقها، على اعتبار أن الناس يخشون قول الحقيقة. ونظرة أعمق تظهر أن الواقع أكثر تعقيداً²⁶⁹؛ فمثلاً انظر إلى استطلاع ديسمبر/كانون الأول عام 2014 الذي قامت به "لجنة المبادرة المدنية" التابعة لمركز أليكسي كوردين (Alexei Kurdin) لحقوق الإنسان، والذي وجدت فيه أن "الآراء حول الرئيس فلاديمير بوتين في تغير، فقاطنو البلد لا يزالون لا يجدون بديلاً عنه، إلا أن ثقتهم بالباطنية في تناقص". وهذا التقدير يكشف لنا عن حقيقة "القبول" عند المواطنين الروس.

واستطلاعات أخرى تؤكد ببساطة أن كثيرًا من الروس لا يجدون بديلاً عن بوتين²⁷⁰، وهذا نمط ملحوظ في الحوارات الخاصة التي لا يصلح نشرها في استطلاع للرأي. وأمر آخر، فإن كثيرًا من الروس يصوتون بأقدامهم لا بمشاركتهم في التصويت، فالهجرة الروسية ارتفعت إلى 40 ألف مهاجر في عام 2011، في الوقت الذي أعلن فيه بوتين عودته لجولة رئاسية ثالثة. وفي 2013 ارتفعت النسبة إلى 76% عن العام السابق. وشهد العام 2014 زيادة كبيرة في الهجرة منذ التسعينيات، حيث ترك أكثر من 200 ألف روسي روسيا بعدما أعلن بوتين ضمه القرم²⁷¹. والمؤشرات السلبية للاقتصاد دفعت عديدًا إلى البحث عن بدائل للمعلومات عن المصادر الحكومية مثل الإنترنت والشبكات الاجتماعية، حيث بإمكانهم العثور على آراء معارضة للكركميين²⁷².

وبينما تشير هذه المؤشرات إلى حالة عدم استقرار أبعد مما تراه العين، فإنه من غير المعلوم ما سيحمله المستقبل في جعبته. وبشكل خاص، فإن المجتمع الروسي في تغير. فبالرغم من أن الغالبية من الروس لا يبدو أنهم مستعدون للانخراط في احتجاجات عامة، إلا أن الحوارات الشخصية الخاصة توحى بأمور لا تظهر على السطح. فالامتعض العام في تنام، والاهتمام بالمشاركة السياسية والمدنية في تزايد. واستمرت المعارضة الليبرالية ونشطاء حقوق الإنسان في معارضة النظام بعد الاغتيال المؤسف لقائد المعارضة الروسية الليبرالية، ونائب رئيس الوزراء السابق، بوريس نيمتسوف، في فبراير/شباط 2015، الذي كان قد فضح فساد بوتين، وقبل فترة قليلة من اغتياله كان يعد لنشر وثائق تثبت الوجود العسكري الروسي في أوكرانيا. وفي الوقت نفسه شهدت روسيا موجة من القومية والزينوفوبيا (الرهاب من الأجانب) بتوجيه من آلة البروباغاندا في الكركميين. ومع إضافة هجرة النخب المتعلمة من روسيا إلى ما سبق فإن هذه المؤشرات تشير إلى صعود القوى اليمينية المتطرفة بشكل ليس مختلفًا كثيرًا عن ألمانيا في ثلاثينيات القرن الماضي²⁷³.

وبحسب استطلاع حديث للرأي قام به مركز ليفادا (Levada)، المركز الاستطلاعي الأكثر استقلالية واحترامًا في روسيا، فقد ذكر أن 32% من المشاركين في الاستطلاع أظهروا مشاعر إيجابية تجاه آفاق العمليات الروسية في سوريا. ولوضع الأمور في نصابها، أشار المركز إلى وجود قرابة الـ 25% في روسيا يؤيدون دائمًا الإجراءات الأكثر تطرفًا²⁷⁴. وبحسب استطلاع آخر عقد مؤخرًا في روسيا في نوفمبر/تشرين الثاني 2015 بمشاركة 1600 مواطن من مختلف أنحاء روسيا، فإن ثلثهم يعتقدون أن روسيا قوة عظمى، وهي زيادة كبيرة مقارنة بنسبة 50% في 2011²⁷⁵ و 31% في 1999²⁷⁶. وبحسب صحيفة موسكو تايمز (Moscow Times) فإن "الحماس الناتج عن الحملات العسكرية في أوكرانيا وسوريا يفوق القلق من الركود الاقتصادي الكبير"²⁷⁷. ومع ذلك فقد كشف نفس الاستطلاع أن 36% منهم يريدون أن يروا روسيا "مثل دول الغرب المتطورة"، ولكن يبقى هذا "أكثر تجاوب شعبي" بحسب المركز²⁷⁸.

ويشرح العالم السياسي الروسي، ديمتري أوريشكين، بحسب ما اقتبسها المركز: "هنالك علاقة معقدة بين المسار التاريخي للبلاد والنيات قصيرة المدى: فلدينا تقليديًا تفكير عسكري وثنائي،

وهو أنه هنالك "نحن" وهنالك "الأعداء". وتستخدم الحكومة هذا النمط لحشد الدعم، ومن ثم تتصرف بناء على هذا النمط... وهذا يقود إلى ما يعرف بالتناقض الإدراكي (cognitive dissonance): فبوتين أثبت أنه زعيم قوي، وأنه حامي الشعب الروسي في أوكرانيا، ولكن..أوكرانيا ذهبت للغرب والقرم تحاول التأقلم بصعوبة شديدة، ومنطقة الدونباس(في شرقي أوكرانيا) في ورطة. وتم تقديم منظومة قيمية قديمة-جديدة تبسط صورة العالم بشكل كبير: الدولة القوية هي التي بإمكانها قصف جيرانها، لا التي تصنع نموذجاً للتنمية"²⁷⁹.

وفي الشرق الأوسط، يبدو أن بوتين سيستمر في تقوية حلفائه غير الغربيين للحفاظ على قبضته على السلطة. لذلك فإن روسيا تحت حكم بوتين ستكون، على ما يبدو، عائقاً أمام السلام والاستقرار في الشرق الأوسط، ومؤججة للصراع بدلاً من أن تكون الشريك الذي كان يأمله الغرب.

في 31 أكتوبر/تشرين الأول عام 2015، تحطمت الطائرة الروسية النفاثة الميروجيت فلايت (Metro Flight 9268) في شرم الشيخ أثناء الإقلاع، متسببة في مقتل 224 مسافراً على متنها. وبينما ادعت الدولة الإسلامية مسؤوليتها على الفور، رفضت الحكومتان الروسية والمصرية في البداية الإقرار بأن الإرهاب هو السبب. ولكن في 17 نوفمبر/تشرين الثاني أعلن بوتين أن محور الإرهاب هو السبب، وتوعد بالعقاب²⁸⁰. وبعد حضور لقاء حول الحدث، أكد بوتين "نحن لن نمسح الدموع عن قلوبنا وأرواحنا. سيبقى هذا معنا للأبد. ولكن لن يمنعنا هذا من العثور على المجرمين وعقابهم...سنبحث عنهم في أي مكان على هذا الكوكب وسنعاقبهم"²⁸¹.

وتعجب البعض من أن بوتين لم يتهم الإرهابيين مباشرة بذلك. وبالفعل حالما تدخل بوتين في سوريا تعجب بعض المحللين الروس سرّاً إن كان حدث ما مثل تفجيرات عام 1999 سيحدث ليعطي بوتين سبباً للتدخل في الحرب. في حين كان هناك وجهة نظر مناقضة تقول إن اقراره بأن الإرهاب هو السبب سيضعف من أهليته وصورته كزعيم قوي وحام لشعبه، ومن ثم تقليل الدعم لمغامرته في سوريا. وبحسب ماكسيم ترودوليوبوف، محرر صحيفة الأعمال فيدوموسي (Vedomosi) الروسية المؤثرة والمحترمة²⁸²، "لقد بدا وكأن السيد بوتين قد قاد أمته نحو مستنقع مميت، وأن أبناء وطنه الأبرياء هم من يدفع الثمن"²⁸³. ويرى ترودوليودوف أيضاً أن إقرار بوتين أتى بعد مأساتين جديدتين ارتكبتها الدولة الإسلامية: الانفجار الانتحاري في بيروت في 12 نوفمبر/تشرين الثاني الذي حصد أرواح 43 شخصاً، وهجمات باريس في اليوم التالي التي قتلت²⁸⁴ 130.

فخروج بوتين من عزلته الدولية مع الأهداف المعلنة بمحاربة العدو المشترك بدا وكأنه توزيع للأرباح مع القوى الغربية. وقبل أحداث باريس بأقل من شهر صرح الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند أن "بوتين ليس حليفنا في سوريا حالياً"²⁸⁵، ولكن في السادس عشر من نوفمبر/تشرين الثاني؛ أي بعد هجمات باريس بثلاثة أيام ونفس اليوم الذي تم الاعتراف فيه بأن الإرهابيين هم من أسقطوا الطائرة الروسية، اتفقت روسيا وفرنسا على تنسيق الضربات الجوية ضد الدولة الإسلامية. وبحسب استطلاع للرأي، دعم 91% من المواطنين الفرنسيين التعاون مع بوتين²⁸⁶.

ولكن هناك تحد آخر كان ينتظر بوتين؛ وهو أن روسيا قامت بشكل متكرر بقصف المناطق التركمانية على الحدود السورية التركية. وعلق الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، على هذه الهجمات على الناطقين بالتركية بأنها هجمات على "إخواننا وأخواتنا". كان هذا هو السياق الذي من خلاله أسقطت تركيا في 24 نوفمبر/تشرين الثاني طائرة حربية روسية قيل إنها اخترقت الأجواء التركية لنحو 17 ثانية. وادعى المسؤولون الأتراك أنهم حذروا الطائرة على الأقل 10 مرات في مدة خمس دقائق. وأعلن بوتين بناء عليها أن تركيا طغنت روسيا في الظهر²⁸⁷، وطالب باعتذار، بعدها أقر عدة عقوبات

اقتصادية على بعض المواد المستوردة من تركيا، ومن ضمنها بعض المواد الغذائية، وهدد أن هنالك عقوبات أخرى قادمة²⁸⁸. وقام بوتين بانتقاد الغرب كذلك قائلاً إن روسيا أعطت خطة الطائرة للولايات المتحدة، وهذا ما نفاه السفير الأمريكي للنااتو دوغلاس لوت وقال: إن "المعلومات الأمريكية التي لدي تقر الرواية التركية"، وقال: إن "الطائرة كانت في تركيا، واشتبتت في تركيا، وحذرت بشكل متكرر"²⁸⁹.

قامت روسيا بانتهاك المجال الجوي لدول أذربايجة للنااتو عدة مرات في السنوات الماضية، إلا أنها لم تلق هذا الرد منذ الحرب الباردة. فوجئ بوتين من ردة الفعل التركية، والتي توحى بمدى القلق التركي من الوجود الروسي في سوريا. وتوحى الحالة بتصعيد محتمل قادم حتى إن تفادت الدولتان المواجهة العسكرية المباشرة. وفي خطابه في وزارة الدفاع في الحادي عشر من ديسمبر/ كانون الأول استخدم بوتين لغة شديدة، وإن كانت من دون تسمية تركيا مباشرة: "أريد أن أذكر من يحاول مجدداً تنظيم أي استفزاز ضد قواتنا. لقد اتخذنا كافة الإجراءات لضمان أمن قواتنا وقواعد طائراتنا.. وأمركم أن تتصرفوا بشدة. أي هدف يهدد مجموعة روسية أو بنية تحتية أرضية يجب تدميره على الفور.."²⁹⁰.

وبالفعل في 13 ديسمبر/كانون الأول تقريباً، أثناء كتابة هذا التقرير، أطلقت روسيا رصاصة تحذيرية على زورق تركي "لتجنب الارتطام" في بحر إيجه، بحسب المصادر الروسية، وهي الوحيدة المتوفرة حتى اللحظة.

وفي هذه الأثناء، وفي خضم أحدث اللقاءات بين بوتين وهولاند في 26 نوفمبر/تشرين الثاني، روي اتفاق الزعيمين على التبادل الاستخباري حول الدولة الإسلامية والمجموعات المتمردة الأخرى، ولكنهما استمررا في الخلاف حول دور الأسد في سوريا²⁹¹. وبشكل منفصل، تتحدث التقارير الإخبارية عن تنامي الحلف الروسي الإيراني، مع تنامي التطهير العرقي لمعارضى الأسد²⁹².

IRAK

للدراسات والاستشارات • FOR STUDIES & CONSULTATIONS

توصيات حول السياسات العامة

يجب على الولايات المتحدة أن تتخذ الخطوات التالية للحد من التداعيات المؤذية العديدة للتدخل الروسي في الشرق الأوسط:

تكثيف الهجمات ضد داعش والبدء باستعادة الأراضي:

وبينما تكون هذه السياسة مبررة من البداية لكون الدولة الإسلامية تشكل تهديدات عديدة للأمن الإقليمي والدولي، إلا أنها أكثر أهمية للعلاقات الأمنية الأمريكية مع حلفائها في المنطقة، لوقف الانتهاك الروسي، ولدرجة معتبرة بالنسبة لإيران، بحجة أن موسكو وطهران جادّتان في محاربة الدولة الإسلامية بخلاف واشنطن.

للدراستات والاستشارات FOR STUDIES & CONSULTATIONS

الحد من التعاون مع روسيا في الشرق الأوسط للمجالات الضرورية حتماً فقط:

وهذه المجالات تشمل مهمات تفادي صدام الآليات المهمة من أجل السلامة. ويجب على صناع السياسات الغربيين أن يتركوا أمل أن يصبح بوتين شريكاً حقيقياً في المستقبل القريب، وأن يتوقفوا عن توفير الشرعية لنظامه عبر التعامل مع الكرملين كطرف مكافئ.

رفض "الدبلوماسية" التي تمكّن روسيا (وإيران) من تعريف دور القوى الإقليمية في القضايا الاستراتيجية مثل الدولة الإسلامية وسوريا:

وهذا يعني العمل عن قرب وبانفتاح مع حلفاء الولايات المتحدة التقليديين في الإقليم؛ أي السعودية ودول الخليج الأخرى إضافة إلى تركيا والأردن والعراق وإسرائيل ومصر. ويعني تجنب "العمل من ورائهم" تحت أي ثمن، كما حصل في مباحثات النووي الإيراني التي أخفتها أمريكا عن حلفائها في البداية. وأسهم هذا الإخفاء في البداية في تعزيز القناعة بأن الدبلوماسية الأمريكية تساند إيران، وبالذات أن الصفقة، من وجهة نظرهم، فتحت الباب لإيران لحيازة السلاح النووي.

إقناع الاتحاد الأوروبي بإبقاء العقوبات على روسيا:

يأمل بوتين أن تشكل جهوده في الشرق الأوسط مبرراً لأوروبا لرفع العقوبات المتعلقة بأوكرانيا عن روسيا. وهذا بحد ذاته سبب مقنع يبصر إبقائها. فتدخل بوتين في روسيا يزيد من تدفق اللاجئين لأوروبا. وهناك العديد من الأمثلة التي تكشف بأن بوتين غير مهتم باتباع قواعد الأداء الدولية، بدءاً من حرب جورجيا عام 2008، مروراً بضم القرم في 2014، وصولاً للفشل في توضيح مسألة اختراق الأجواء التركية. فتجاهل بوتين للقواعد والأعراف الدولية هو سبب رئيسي لإبقاء العقوبات كما هي حتى يغير سلوكه.

اتخاذ إجراءات لمنع إلقاء سوريا للبراميل المتفجرة

لربما كان القيام بحظر واسع للطيران غير واقعي بسبب التحليق الروسي في سماء سوريا، ولكن منهجاً آخر قد يكون بالتصرف ضد إلقاء الأسد للبراميل المتفجرة على المدنيين عبر الحوامات.

وبإمكان هذا أن يقلل من تدفق اللاجئين ويوفر مناطق آمنة تمكن المقاتلين السوريين من التدريب فيها، واتخاذها نقطة انطلاق لتنفيذ العمليات ضد الأسد والدولة الإسلامية. والأعمال التي تدخل في إطار منع إلقاء البراميل المتفجرة تنوع من توفير أسلحة مضادة للحوامات البطيئة المحلقة عالياً، إلى النقل الممكن والمحدود لأنظمة الدفاع الجوي المحمولة بشرياً على الكتف (MANPADs). وهذه المنظومات المزدوجة الاستعمال بالإمكان استخدامها في القتال على الأرض. وعلى النسق نفسه، يجب أن يصل الغرب لتفاهم مع الكرملين أن أي انتهاك لحظر استعمال البراميل المتفجرة سيؤدي لقصف القواعد الجوية للأسد. وفي السعي إلى هذا الأمر، يجب على الولايات المتحدة النظر إلى "عملية مراقبة الشمال" (Operation Northern Watch)، عملية حظر الطيران فوق كردستان العراق بين 1991-2003، والتي استخدمت أقل من 100 طائرة أمريكية وبريطانية من مختلف الأنواع. ومقارنة كهذه يجب أن تتم في منطقة في سوريا قريبة من كل من قاعدة أنجيرليك التركية و"عملية مراقبة الشمال"، وأن تكون أصغر بشكل ملحوظ من شمال العراق.

FOR STUDIES & CONSULTATIONS • الدراسات والاستشارات

تغيير توازن القوى على الأرض في سوريا:

وكما في أفغانستان في ثمانينيات القرن الماضي، يجب ألا يكون الهدف هزيمة الأسد وحلفائه الإيرانيين والروس، وإنما إقناعهم بأن أفضل نتيجة ممكنة هي الوصول لمأزق لا نهاية له، ومن ثم تشجيعهم على الوصول لمساومة ومفاوضات حقيقية. وهذا من الممكن أن يحدث فقط في حال قامت الولايات المتحدة وحلفاؤها بأعمال منخفضة التكاليف والمخاطرة لتجبر حلف الأسد على التصعيد بشكل مكلف. وأفعال كهذه يجب أن تتضمن تزويد معارضي الأسد المعتدلين بالسلاح، بما يتضمن، كما قلنا، أنظمة الدفاع الجوي المحمولة بشرياً في لحظة ما؛ من أجل الحفاظ على التوازن العسكري.

تجنب إضعاف إضافي لحلفاء الولايات المتحدة التقليديين تحت ضغط عصا وجزرة بوتين:

وخطوة كهذه تستلزم التجاوب مع بشكل أكبر مع مطالب حلفاء الولايات المتحدة الإقليميين: موقف أقوى في سوريا لمجابهة الأسد وحلفائه، ودعم اقتصادي إضافي للأردن وكردستان العراق، وتحسين العلاقة مع مصر، وعلاقات دبلوماسية أقوى من هذا مع إسرائيل لتمثيل التعاون الأمريكي الإسرائيلي العسكري الممتاز، وتعاون أفضل مع تركيا. يجب أن تشعر هذه الدول بالثقة من أن الولايات المتحدة قلقة على احتياجاتها الأمنية أكثر من بوتين، ولكن مع علمهم أن "ثمن" ذلك هو إبقاء الروس، والإيرانيين في بعض الأحيان، بعيدين عنهم.

FOR STUDIES & CONSULTATIONS • الدراسات والاستشارات

عدم تجاهل العراق:

فالتحالف مع العراق هو أوهن التحالفات "التقليدية". فإن لم تقم الولايات المتحدة بمعاونة رئيس الوزراء العراقي، حيدر العبادي، في تحقيق انتصارات سريعة على الدولة الإسلامية، وإن لم تقم بدعم القيادة الدينية في النجف في صراعها السياسي ضد أنصار إيران، فإن العبادي لن يستمر في التزامه تجاه الولايات المتحدة بالامتناع عن التعاون مع روسيا أكثر من ذلك.

دفع القوات المسلحة الروسية إلى التوسع فوق طاقتها:

لقد طرح تدخل بوتين في سوريا السؤال حول مدى قدرات الجيش الروسي. بغض النظر عن قوة قوات بوتين المسلحة، فإنه يعول على الرضا الغربي، ولم يأخذ التكاليف بالحسبان عندما تدخل في سوريا، وأوكرانيا، وغيرها. وفي سياق الركود الاقتصادي الروسي، وعدد من الالتزامات العسكرية الروسية في فضاءات ما بعد السوفييت مثل أفغانستان، فإن بإمكان الغرب أن يجعل بقاء بوتين في سوريا أكثر تكلفة؛ عبر تسليح الأوكرانيين مثلاً.

الاستعداد لخفض التصعيد:

كما توحى الخبرة الطويلة مع بوتين والحادث الجوي الخطير مؤخرًا بين تركيا وروسيا فإن المجتمع الدولي، بداية بالولايات المتحدة، يجب أن يكون مستعدًا لتخفيض حالات التصعيد التي من الممكن أن تجر الإقليم إلى حرب أوسع.

زيادة دعم الديمقراطية في روسيا:

لأن مستقبل السلوك الروسي في الشرق الأوسط مرتبط بشكل كبير بسياسة الكرملين الداخلية، فعلى الغرب أن يدعم أولئك الذين يطمحون إلى الديمقراطية من الروس. وإذا لم يقدّم الغرب بدعم الروس المؤمنين بالقيم الغربية وتحفيزهم فإنهم سيحبطون، ومن ثم يتجهون للتطرف. وتطور كهذا بإمكانه فقط أن يضر بمصالح الولايات المتحدة.

IDRAK

FOR STUDIES & CONSULTATIONS • للدراسات والاستشارات

المراجع والملاحظات

1. "Putin's UN General Assembly Speech," Washington Post, September 28, 2015, <https://www.washingtonpost.com/news/worldviews/wp/2015/09/28/read-putins-u-n-general-assembly-speech/>.
2. Michael R. Gordon and Eric Schmitt, "Russian Moves in Syria Pose Concerns for U.S.," New York Times, September 4, 2015, http://www.nytimes.com/2015/09/05/world/middleeast/russian-moves-in-syria-pose-concerns-for-us.html?_r=0. Previous reports indicated Russian troops were on the ground in Syria earlier: see Ruslan Leviev, a Russian blogger connected to the Conflict Intelligence Team (CTI), which follows Russia's military involvement in Syria and Ukraine, "Are There Russian Troops in Syria?" September 5, 2015, <http://ruslanleviev.livejournal.com/38649.html>.
3. Raziye Akkoc, Andrew Marszal, and Roland Oliphant, "Russia Launches Airstrikes in Syria—As It Happened on Wednesday 30 September," Telegraph, September 30, 2015, <http://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/europe/russia/11903681/Russia-launches-airstrikes-in-syria-as-it-happened-on-Wednesday-30-September.html>.
4. Dan Williams, "Russia Sending Advanced Air Defenses to Syria: Sources," Reuters, September 11, 2015 <http://www.reuters.com/article/2015/09/11/us-mideast-crisis-syria-arms-idUSKCN0RB1Q020150911>.
5. Robin Emmott and Laila Bassam, "NATO Rejects Russia Explanation on Turkish Air Space," Reuters, October 6, 2015, <http://www.reuters.com/article/us-mideast-crisis-syria-idUSKCN0S01DS20151007>.
6. Barbara Starr and Jeremy Diamond, "U.S. Officials Say Russian Missiles Heading for Syria Landed in Iran," CNN, October 8, 2015, <http://www.cnn.com/2015/10/08/politics/russian-missiles-syria-landed-iran/>.
7. Andrew E. Kramer, Helene Cooper, and Ceylan Yeginsu, "Kremlin Says Russian 'Volunteer' Forces Will Fight in Syria," New York Times, October 5, 2015, http://www.nytimes.com/2015/10/06/world/europe/nato-russia-war-plane-turkey.html?_r=0. See also Frederick W. Kagan, "Timeline: RussoTurkish Tensions since the Start of the Russian Air Campaign," American Enterprise Institute, November 24, 2015, <https://www.aei.org/multimedia/timeline-russo-turkish-tensions-since-start-russian-air-campaign/>.
8. Kira Latukhina, "What's Not Ours, We Don't Need: Putin Explains Russia's Policy on Syria," Rossiyskaya Gazeta, October 11, 2015, <http://www.rg.ru/2015/10/11/imperiya-site.html>.
9. Henry Kissinger, White House Years (Boston: Little, Brown and Co., 1979), pp. 581–91.
10. Agence France-Presse, "Russia Raids Close Door on Political Solution: Syria Rebels," Yahoo! News, October 5, 2015, <http://news.yahoo.com/russia-raids-close-door-political-solution-syria-rebels-135338470.html>.
11. Graeme Baker, "Syrian Rebels Call for Unity against Russia-Iran 'Occupation,'" Middle East Eye, October 5, 2015, <http://www.middleeasteye.net/news/syrian-rebels-call-unity-against-russia-iran-occupation-64818786>.
12. على سبيل المثال وفي دراسة أجريت مؤخرًا بين اللاجئين السوريين في ألمانيا، وجد أن 70% من اللاجئين يفرون من الأسد وقواته. ووفقًا لمكتب الأمم المتحدة السامي المفوض بشؤون اللاجئين، فإنه وبنهاية 2013، وصل العدد الإجمالي للنازحين في العالم 51 مليون شخص، أي بزيادة قدرت ب 6 مليون شخص مقارنة بالعام السابق. أرجعت رابط الدراسة للاطلاع.://washin.st/1RMy3sj. المفوضية هذا الارتفاع للأزمة السورية
13. Bobo Lo, Russia and the New World Disorder (London: Brookings Institution Press with Chatham House, 2015), pp. 24–25.
14. Eugene Rumer, Dangerous Drift: Russia's Middle East Policy, Policy Papers 54 (Washington DC: Washington Institute, 2000), <http://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/dangerous-drift-russias-middleeast>

policy . Robert O. Freedman, "Russian Policy toward the Middle East under Yeltsin and Putin, Jerusalem Letter/Viewpoints 461 (Jerusalem Center for Public Affairs, September 2, 2001), <http://www.jcpa.org/jl/vp461.htm>.

بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، جذبت الجمهوريات المستقلة حديثًا في آسيا الوسطى والقوقاز - المناطق المهتدة.15 بالاسلام الراديكالي وتعتبرها موسكو نقطة ضعف لها- كان لإيران وتركيا دور كبير في التأثير بهذه المناطق وبالتالي الحفاظ على تحالف واقعي مع روسيا، أنظر على سبيل المثال

Robert O. Freedman, "Russia and the Middle East under Putin," *Ortodogu Etutleri* 2, no. 3 (July2010)p9,[http://www.orsam.org.tr/en/enUploads/Article/Files/201082_robertfeedman.ors m.etutler.pdf](http://www.orsam.org.tr/en/enUploads/Article/Files/201082_robertfeedman.ors%20m.etutler.pdf)

16. Robert O. Freedman, "Russia in the Middle East under Yeltsin," in *The Middle East and the Peace Process: The Impact of the Oslo Accords*, ed. Robert O. Freedman (Gainesville: University Press of Florida, 1998), p. 391.

17. Robert O. Freedman, "Russian Policy toward the Middle East under Yeltsin and Putin, Jerusalem Letter/Viewpoints 461 (Jerusalem Center for Public Affairs, September 2, 2001), <http://www.jcpa.org/jl/vp461.htm>.

18. Lilia Shevtsova and David J. Kramer, "What the Magnitsky Act Means," *American Interest*, December 18, 2012, <http://www.the-american-interest.com/2012/12/18/what-the-magnitsky-act-means/>.

19. Eugene Rumer, *Dangerous Drift: Russia's Middle East Policy*, Policy Papers 54 (Washington DC: Washington Institute, 2000), <http://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/dangerous-drift-russias-middleeast-policy>.

20. David Hoffman, "Bowling to Opposition, Yeltsin Appoints Primakov to Top Post," *Washington Post*, September 11, 1998, available at <http://tech.mit.edu/V118/N40/russia.40w.html>.

21. فور سقوط الاتحاد السوفييتي عام 1991، قام المواطنون الروس إلى الحط من الشيوعية وأملوا بمستقبل "ديمقراطي. وهو ما أثبتته استطلاعات رأي أجريت بين المواطنين الروس من قبل (مركز بيو

" See "Russia's Weakened Democratic Embrace," Pew Research Center, January 5, 2006, <http://www.pewglobal.org/2006/01/05/russias-weakened-democratic-embrace/>. See also Lilia Shevtsova and David J. Kramer, "What the Magnitsky Act Means," *American Interest*, December 18, 2012, <http://www.the-american-interest.com/2012/12/18/what-the-magnitsky-act-means/>; and "Summit in Washington; Excerpts from Yeltsin's Speech: 'There Will Be No More Lies,'" *New York Times*, June 18, 1992, <http://www.nytimes.com/1992/06/18/world/summit-in-washington-excerpts-from-yeltsin-s-speech-there-will-be-no-more-lies.html>, during which the Russian leader promised that, "as a citizen of the great country which has made its choice in favor of liberty and democracy... there will be no more lies—ever."

22. International Crisis Group, "The North Caucasus: The Challenges of Integration (I), Ethnicity and Conflict," *Europe Report* 220, October 19, 2012, <http://www.crisisgroup.org/en/regions/europe/north-caucasus/220-the-north-caucasus-the-challenges-of-integration-i-ethnicity-and-conflict.aspx>.

23. Steven Lee Myers, "Russia Closes File on Three 1999 Bombings," *New York Times*, May 1, 2003, <http://www.nytimes.com/2003/05/01/world/russiacloses-file-on-three-1999-bombings.html>.

24. Indeed, some suggested that Moscow's own intelligence services orchestrated the attacks as a pretext for starting another war with Chechnya. Jeff Carr, "Re-examining the 1999 Apartment Bombings in Russia," *Stanford Post-Soviet Post*, February 20, 2013,<http://postsovietpost.stanford.edu/discussion/re-examining-1999-apartment-bombings-russia>.

25. Karen Dawisha, *Putin's Kleptocracy: Who Owns Russia?* (New York: Simon & Schuster, 2014), pp. 236, 242.

26. *Ibid.*, p. 244.

27. Denis Volkov, "Putin's Ratings: Anomaly or Trend?" *Institute for Modern Russia*, December 23, 2014, <http://imrussia.org/en/analysis/nation/2135-putins-ratings-anomaly-or-trend>.

28. Karen Dawisha, *Putin's Kleptocracy: Who Owns Russia?* (New York: Simon & Schuster, 2014), pp. 271–73.

على سبيل المثال، كان من بين أول ضحايا حملته للإطاحة بالصحافة، بوريس بيريزوفسكي، أحد كبار مؤيدي يلتسن. 29. والذي لعب دوراً هاماً في إنهاء الحرب الشيشانية الأولى، ويملك أحد محطات التلفزة البارزة في روسيا. كان بيريزوفسكي من بين أنصار بوتين في البداية، وساهم فعلاً في دعم بوتين ليحل محل يلتسن، لكن الرجلان اختلفا بعد الانتخابات الرئاسية عام 2000 وعندها استقال من مجلس الدوما احتجاجاً على إصلاحات بوتين التي اعتبرها غير ديمقراطية. وتحت الضغط هذا، فر إلى بريطانيا، وتوفي هناك في نهاية المطاف بظروف مريبة. ويرى البعض في وفاته قصة انتقام بوتين منه، بإمكانك مطالعة " بوريس بيريزوفسكي: قصة الانتقام، الخيانة والعداوات مع بوتين " الغارديان، 23 مارس، 2013 www.theguardian.com/world/2013/mar/23/boris-berezovskyvladimir-putin-feud

30. National Security Concept of the Russian Federation, January 10, 2000, <http://archive.mid.ru//bdomp/ns-osndoc.nsf/1e5f0de28fe77fdcc32575d900298676/36aba64ac09f737fc32575d9002bbf31!OpenDocument>.

31. Ibid.

32. Robert O. Freedman, "Russian Policy toward the Middle East under Yeltsin and Putin, Jerusalem Letter/Viewpoints 461 (Jerusalem Center for Public Affairs, September 2, 2001), <http://www.jcpa.org/jl/vp461.htm>.

33. "Foreign Policy Concept of the Russian Federation," January 10, 2000, <http://archive.mid.ru//BI.nsf/arh/19DCF61BEFED61134325699C003B5FA3>.

34. Ariel Cohen, "How the U.S. Should Respond to Russia's Unhelpful Role in the Middle East," Backgrounder 262 (Heritage Foundation, March 15, 2012), http://www.heritage.org/research/reports/2012/03/how-the-us-should-respond-to-russias-unhelpful-role-in-the-middle-east#_ftn19.

35. "Rogozin: Russia Ranks Second in the World on Export Supply of Military Goods," Daily News Light, December 11, 2013, <http://dailynewslight.ru/?u=11122013868>. 36. "Exclusive Interview with Russia's Foreign Minister Igor Ivanov by RIA Novosti Political Analyst Dmitry Kosyrev," Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation, December 27, 2002, <http://washin.st/1TmEpy9>. 37. Ibid.

38. Alexander Yakovenko, "Without Russia—Nowhither," Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation, December 31, 2003, http://archive.mid.ru//bdomp/brp_4.nsf/e78a48070f128a7b43256999005bcbb3/de9b66af10c96117c3256e0d00413008!OpenDocument, originally published in the official Kremlin Rossiyskaya Gazeta.

39. Karen Dawisha, Putin's Kleptocracy: Who Owns Russia? (New York: Simon & Schuster, 2014), p. 233. Fiona Hill and Clifford G. Gaddy, "Putin and the Uses of History," National Interest, January/February 2012, <http://nationalinterest.org/article/putin-the-uses-history-6276>.

40. Karen Dawisha, Putin's Kleptocracy: Who Owns Russia? (New York: Simon & Schuster, 2014), p. 234.

41. في حين أن النهوض الروسي الاستثنائي، وهو الذي في جوهره عن الحالة الامريكية الاستثنائية أيضاً، لكنه لا يبدو جديداً بل هو نتاج تاريخ روسيا في الواقع. ووفقاً لهذا المنظور الروسي، فإن ما ينشأ في دوقية لمسكوفي، خلف الدولة الروسية، فذاك هبة من الله لموسكو في مهمتها المقدسة للحفاظ وتوسيع الوحدة الحقيقية للمؤمنين الأرثوذكس والوقوف في المعارضة ضد الكاثوليكية الرومانية والقسطنطينية العثمانية. ولعدة قرون استخدم المسؤولون موسكو في التأكيد على مهمة التفرد والحضارية كمبرر سياسي وثقافي واجتماعي للحروب والتوسع الامبراطوري وتحويل المشاكل الاقتصادية كغطاء لنشاطات غير قانونية خاصة بهم. وبوتين ببساطة أحدث تجسيد لهذا النهج. كتب اندرس آسلوند وأندرو كوتشنيير، ورقة بحثية عن روسيا لمعهد بيترسون للاقتصاد الدولي، 2009. طالع

Moscow Times, September 27, 2013, <http://www.themoscowtimes.com/opinion/article/putin-revives-russian-exceptionalism/486692.html>; Leon Aron, "Why Putin Says Russia Is Exceptional," Wall Street Journal, May 30, 2014, <http://www.wsj.com/articles/why-putin-says-russia-is-exceptional-1401473667>.

42. Alexey Malashenko, *Russia and the Arab Spring* (Moscow: Carnegie Moscow Center, 2013), p. 7, http://carnegieendowment.org/files/russia_arab_spring2013.pdf.
43. Putin increasingly relied on this rhetoric after assuming a third presidential term in 2012, following December 2011 anti-government protests that were the largest in Russia's post-Soviet history.
44. Michael Bohm, "Putin Revives Russian Exceptionalism," *Moscow Times*, September 27, 2013, <http://www.themoscowtimes.com/opinion/article/putin-revives-russian-exceptionalism/486692.html>.
45. These quotations are from *Putin's First Person: An Astonishingly Frank SelfPortrait* by Russia's President (New York: Public Affairs, 2000), quoted in Matthew Evangelista, *The Chechen Wars: Will Russia Go the Way of the Soviet Union?* (Washington DC: Brookings Institution Press, 2002).
46. Vladimir Putin, "Annual Address to the Federal Assembly of the Russian Federation," April 25, 2005, http://archive.kremlin.ru/eng/speeches/2005/04/25/2031_type70029type82912_87086.shtml.
47. Alexey Malashenko, *Russia and the Arab Spring* (Moscow: Carnegie Moscow Center, 2013), p. 6, http://carnegieendowment.org/files/russia_arab_spring2013.pdf. This confusion is not necessarily new for the Kremlin. Indeed, Soviet culture occasionally blended with that of the authoritarian czars, and it was sometimes impossible to separate the two. See Raymond Smith, *Negotiating with the Soviets* (Bloomington: Indiana University Press, 1989).
48. "West Began Grabbing Geopolitical Territory after Fall of USSR—Putin," *Sputnik*, June 19, 2015, <http://sputniknews.com/politics/20150619/1023579895.html>.
49. David Satter, "The Long Shadow of 'Nord Ost,'" *Foreign Policy Research Institute*, November 2012, <http://www.fpri.org/articles/2012/11/long-shadow-nord-ost>.
50. Laura Mills, "Moscow Theater Siege 2002: Russians Mark Chechen Hostage Taking," *Huffington Post*, October 26, 2012, http://www.huffingtonpost.com/2012/10/26/moscow-theatre-siege-2002_n_2022494.html.
51. Artem Krechetnikov, "Moscow Theatre Siege: Questions Remain Unanswered," *BBC*, October 24, 2012, www.bbc.co.uk/news/world-europe-2006738.
52. European Court of Human Rights, "Use of Gas against Terrorists during the Moscow Theatre Siege Was Justified, but the Rescue Operation Afterwards Was Poorly Planned and Implemented," press release, December 20, 2011. See also Alexandra Odyнова "Strasbourg Awards Dubrovka Hostages \$1.6M," *Moscow Times*, December 20, 2011, <http://www.themoscowtimes.com/news/article/strasbourg-awards-dubrovka-hostages-16m/45253.html>
53. Gabrielle Tetrault-Farber, "No Closure for Victims of Theater Hostage Crisis, 12 Years On (Video)," *Moscow Times*, October 22, 2014, <http://www.themoscowtimes.com/article.php?id=509953>.
54. Jonathan Steele, "Angry Putin Rejects Public Beslan Inquiry," *Guardian*, September 6, 2004, <http://www.theguardian.com/world/2004/sep/07/russia.chechnya>.
55. "Address by President Vladimir Putin," September 4, 2004, http://archive.kremlin.ru/eng/text/speeches/2004/09/04/1958_type82912_76332.shtml.
56. See the second-to-last paragraph in "Russia to Abolish Mayoral and City Duma Elections," *Interpreter*, December 11, 2013, <http://www.interpretermag.com/russia-to-abolish-mayoral-and-city-duma-elections/>.
57. "Russia," *Freedom in the World Index 2005*, Freedom House, 2006, <http://www.freedomhouse.org/report/freedom-world/2005/Russia>.



58. واحد من بين التقارير القليلة الجريئة والناقعة لبوتين فيما يتعلق بالنزاع في الشيشان كتبته الصحفية الشجاعة. والناقدة لبوتين " آنا بوليتكوفسكايا" والتي اغتيلت في موسكو عام 2006. والتقريب الآخر من اعداد ناتاليا استميروفا الصحفية والناشطة في مجال حقوق الإنسان والتي اختطفت وقتلت في غروزني عام 2009

59. C. J. Chivers, "Russian Panel Ends Inquiry into Beslan School Seizure," New York Times, December 22, 2006, http://www.nytimes.com/2006/12/22/world/europe/22iht-beslan.3991005.html?_r=0.

60. Ellen Barry, "Putin Criticizes West for Libya Incursion," New York Times, March 26, 2011, <http://www.nytimes.com/2011/04/27/world/eur/ope/27putin.html>; Maxim Tkachenko, "Putin Points to U.S. Role in Gadhafi's Killing," CNN, December 15, 2011, <http://www.cnn.com/2011/12/15/world/europe/russia-putin-libya/>.

61. UN Security Council Resolution 1973, March 17, 2011, [http://www.un.org/en/ga/search/view_doc.asp?symbol=S/RES/1973\(2011\)](http://www.un.org/en/ga/search/view_doc.asp?symbol=S/RES/1973(2011)).

62. On the no-fly zones, see "Security Council Approves 'No-Fly Zone' over Libya, Authorizing 'All Necessary Measures' to Protect Civilians, by Vote of 10 in Favour with 5 Abstentions," meetings coverage, March 17, 2011, <http://www.un.org/press/en/2011/sc10200.doc.htm>; see also UN Security Council, 66th Session, 6498th Meeting, March 17, 2011, pp. 2–3, http://www.un.org/en/ga/search/view_doc.asp?symbol=S/PV.6498.

63. UN Security Council, 66th Session, 6498th Meeting, March 17, 2011, p. 8, <http://www.un.org/press/en/2011/sc10200.doc.htm>.

64. Ibid.

65. "Putin Rips 'Medieval Crusade' in Libya," Moscow Times, March 22, 2011, <http://www.themoscowtimes.com/news/article/putin-rips-medieval-crusade-in-libya/433447.html>; "Security Council Approves 'No-Fly Zone' over Libya, Authorizing 'All Necessary Measures' to Protect Civilians, by Vote of 10 in Favour with 5 Abstentions," meetings coverage, March 17, 2011, <http://www.un.org/press/en/2011/sc10200.doc.htm>; UN Security Council Resolution 1973, March 17, 2011, [http://www.un.org/en/ga/search/view_doc.asp?symbol=S/RES/1973%20\(2011\)](http://www.un.org/en/ga/search/view_doc.asp?symbol=S/RES/1973%20(2011)).

66. "Medvedev Calls Putin's Remarks on Libya 'Unacceptable,'" Radio Free Europe / Radio Liberty, March 21, 2011, http://www.rferl.org/content/putin_medvedev_libya_unacceptable/2345335.html.

67. "Dmitry Medvedev Comments on Latest Libya Events," Channel 1 TV, March 21, 2011, <http://www.1tv.ru/news/polit/173079>.

68. "Statement by Dmitry Medvedev on the Situation in Libya," March 21, 2011, <http://en.kremlin.ru/events/president/news/10701>.

69. A. O., "A Crack in the Tandem?" Economist, March 23, 2011, http://www.economist.com/blogs/easternapproaches/2011/03/russia_and_libya.

70. "The Game of Giveaway," YouTube video, 1:17:21, posted by Dmitry Rogozin, January 21, 2013, <https://www.youtube.com/watch?v=zrtcVd1LAsc>.

71. Ibid.

72. Putin Rips 'Medieval Crusade' in Libya," Moscow Times, March 22, 2011, <http://www.themoscowtimes.com/news/article/putin-rips-medieval-crusade-in-libya/433447.html>.

73. يصعب الحصول على تقدير صحيح لأعداد المسلمين في روسيا، وذلك لأن التعداد الروسي الانتخابي يعتمد على العرق وليس الدين ويستثني المهاجرين، وعدد كبير منهم قادم من آسيا الوسطى. منذ عام 2004، تتراوح التقديرات ما بين 14 إلى 23 مليون مسلم.

وفي حين يقدر مركز بيون للأبحاث اعداد المسلمين في روسيا بقرابة 14 مليون مسلم، إلا أن الكنيسة الأرثوذكسية تدعي أن عددهم تجاوز 20 مليون نسمة. ووفق تقدير رئيس مجلس المفتيين المسلمين في روسيا فإن اعداد المسلمين في روسيا وصل إلى 23 مليون مسلم بحلول العام 2005. وقد تكون هذه الاختلافات بسبب المهاجرين من آسيا الوسطي وأذربيجان

أنظر كونراد هاكيت " 5 حقائق حول السكان المسلمين في أوروبا " مركز بيو للأبحاث، 15 يناير 2015

<http://www.pewresearch.org/fact-tank/2015/01/15/5-facts-about-the-muslim-population-in-europe/>, and "Russia's Turning Muslim, Says Mufti," Times of London, August 6, 2005. For a more detailed, up-to-date discussion, see Daniel Pipes, "Predicting a Muslim-Majority Russia," August 6, 2005 (updated September 13, 2014), <http://www.danielpipes.org/blog/2005/08/predicting-a-majority-muslim-russia>. The present study assumes the higher end of the range, based on migrants from Central Asia and Russia's overall Muslim population growth. Private author conversations with experts on Russia's Muslims confirm this assessment.

74. This is the case even when one uses the low-end 14 million estimate: see Conrad Hackett, "5 Facts about the Muslim Population in Europe," Pew Research Center, January 15, 2015, <http://www.pewresearch.org/facttank/2015/01/15/5-facts-about-the-muslim-population-in-europe/>.

75. Mansur Mirovalev, "Despite Animosity, Moscow's Muslims Change the City," Al Jazeera, July 22, 2015, available at <https://en-maktoob.news.yahoo.com/despite-animosity-moscows-muslims-change-city-111912253.html>.

76. "Will There Be Changes in Foreign Affairs Ministry's Middle East Policy?" Islam News, May 12, 2011, <http://www.islamnews.ru/news-54951.html>.

77. See Russia's Federal Statistics Service: "Natural Population Growth of the Russian Federation," http://www.gks.ru/bgd/regl/b15_106/Main.htm.

78. "Muslim Birthrate Worries Russia," Washington Times, November 20, 2006, <http://www.washingtontimes.com/news/2006/nov/20/20061120-115904-9135r/?page=all>.

79. "Dagestan Entered Top Five Regions with Greatest Life Expectancy," Interfax, June 10, 2014, <http://www.interfax-russia.ru/South/news.asp?id=508460&sec=1671>.

80. "Muslim Birthrate Worries Russia," Washington Times, November 20, 2006, <http://www.washingtontimes.com/news/2006/nov/20/20061120-115904-9135r/?page=all>.

81. Valery Dzutsati, "Russian Military Says It Will Lift Restrictions on Drafting North Caucasians," Eurasia Daily Monitor 11, no. 75 (April 23, 2014), http://www.jamestown.org/single/?tx_ttnews%5Btt_news%5D=42256&no_cache=1#.Vpaa2vkrK.

82. Daniel Pipes, "Muslim Russia?" Washington Times, October 21, 2013, available at <http://www.danielpipes.org/13531/muslim-russia>.

83. For a more detailed discussion of Russia's Muslims, see Ilan Berman, Implosion: The End of Russia and What It Means for America (Washington DC: Regnery Publishing, 2013), chapters 3 and 4.

84. Anna Borshchevskaya, "Beyond Sochi—Putin, Russia Losing Battle with Radical Islam," Fox News, February 7, 2014, <http://www.foxnews.com/opinion/2014/02/07/beyond-sochi-putin-russia-losing-its-battle-with-radical-islam.html>.

85. "If There Is Hell on Earth, I Am in This Hell," Radio Svoboda, October 4, 2015, <http://www.svoboda.org/content/article/27286075.html>.

86. Aleksandr Panin and Laura Smith, "Russia—New Recruiting Ground for Islamic State?" BBC, July 23, 2015, <http://www.bbc.co.uk/monitoring/russiaa-fertile-recruiting-ground-for-islamic-state>; "ISIS Broadcast TV Channel in Russian!" YouTube video, 0:39, posted by "MOST IMPORTANT," July 14, 2015, <https://www.youtube.com/>

watch?v=2hwYpDJ9KCw; "Russian ISIS: Even Military Magazines and Instructions in Russian," YouTube video, 4:13, posted by "Oligarchs Kaput," September 9, 2015, <https://www.youtube.com/watch?v=6qh4mCCybBk>. For a more detailed discussion on the radical Islamist threat in Russia, see Leon Aaron, "The Expansion of Russia's Radical Islamism outside the North Caucasus," testimony, House Subcommittee on Europe, Eurasia, and Emerging Threats, September 30, 2015, available at <https://www.aei.org/publication/the-expansion-of-russias-radical-islamism-outside-the-north-caucasus/>.

87. Adrian Karatnycky, "Ukraine's Orange Revolution," *Foreign Affairs*, March/ April 2005, <http://www.foreignaffairs.com/articles/60620/adrian-karatnycky/ukraines-orange-revolution>.

88. Jonathan Steele, "Putin Still Bitter over Orange Revolution," *Guardian*, September 5, 2005, <http://www.theguardian.com/world/2005/sep/06/russia.jonathansteele>.

89. Roland Oliphant, "Vladimir Putin: We Must Stop a Ukraine-Style 'Coloured Revolution' in Russia," *Telegraph*, November 20, 2014, <http://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/europe/ukraine/11243521/Vladimir-Putin-we-must-stop-a-Ukraine-style-coloured-revolution-in-Russia.html>.

90. أولى هذه الاحتجاجات كان في صربيا عام 2000. حيث رأى بوتين هناك يد التدخل الغربي وخاصة بعد قصف الناتو ليوغسلافيا في عام 1999. و في بعض حالات الثورات والاحتجاجات كما هو الحال في روسيا البيضاء وقيرغيزستان واستخدام العنف ضد المتظاهرين السلميين ضد الحكومة خلافاً لما حدث في أوكرانيا.

91. Lincoln A. Mitchell, *The Color Revolutions* (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2012).

92. Paul J. Saunders, "Putin Feels Vindicated by Russian Approach to Mideast," *Al-Monitor*, May 23, 2014, <http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2014/05/ukraine-arab-spring-russia-strong-government-terrorism.html#>; Vladimir V. Putin, "A Plea for Caution from Russia," *New York Times*, September 11, 2013, http://www.nytimes.com/2013/09/12/opinion/putin-plea-for-caution-from-russia-on-syria.html?_r=0.

93. Vladimir V. Putin, "Address by President of the Russian Federation," Kremlin, Moscow, March 18, 2014, <http://en.special.kremlin.ru/events/president/news/20603>.

94. "Shoigu: Scenario Based on Arab Spring Was Used in Ukraine," *RIA Novosti*, April 1, 2014, http://ria.ru/defense_safety/20140401/1002052340.html.

95. As reported in Paul J. Saunders, "Putin Feels Vindicated by Russian Approach to Mideast," *Al-Monitor*, May 23, 2014, <http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2014/05/ukraine-arab-spring-russia-strong-government-terrorism.html#ixzz3ph4jUnyM>.

96. "Putin Promised Not to Allow a 'Color Revolution' in Russia," *BBC*, November 20, 2014, http://www.bbc.co.uk/russian/russia/2014/11/141120_russia_putin_extremism. 97. "Putin: Practice of Intervention in Affairs of Other Countries Led to Tragedy in Ukraine," *Vesti.ru*, April 9, 2015, <http://www.vesti.ru/doc.html?id=2491024>.

98. Mark Katz, "Moscow and the Middle East: Repeat Performance?" *Russia in Global Affairs*, October 7, 2012, <http://eng.globalaffairs.ru/number/Moscow-and-the-Middle-East-Repeat-Performance-15690>.

99. Alexey Malashenko, *Russia and the Arab Spring* (Moscow: Carnegie Moscow Center, 2013), pp. 8–9, http://carnegieendowment.org/files/russia_arab_spring2013.pdf.

100. Alexander Vysotsky, "Russia and the Arab Spring," *Connections XIV*, no. 1 (Winter 2014): p. 51, <http://www.fsv.org/sites/default/files/Russia%20and%20the%20Arab%20Spring.pdf>.

101. Vladislav Vorobyov, "Sergei Lavrov on Foreign Enemies, Possible War between U.S. and Iran, and Much More," *Rossiyskaya Gazeta*, October 24, 2012, <http://www.rg.ru/2012/10/23/lavrov-poln.html>.

102. Mikhail Margelov, "Russia's Vision for the Middle East and North Africa," transcript, December 10, 2013, Chatham House, December 10, 2013, http://www.chathamhouse.org/sites/files/chathamhouse/home/chatham/public_html/sites/default/files/101213Russia.pdf.

103. See http://ria.ru/arab_riot/.

104. Fyodor Lukyanov, "Russia Steers Conservative, Steady Course in Middle East," Russia in Global Affairs, July 11, 2013, <http://eng.globalaffairs.ru/redcol/Russia-Steers-Conservative-Steady-Course-in-Middle-East-16071>.

105. "Putin: 'Arab Spring' Turned into 'Arab Winter,'" YouTube video of Putin's Federal Assembly address on the situation in Crimea, 3:00, posted by Sidi Smotri, March 18, 2014, <https://www.youtube.com/watch?v=57ptNDoVwSQ>.

106. Georgiy Mirsky, "'Islamic State' and Russian Media," Echo Moskv, June 3, 2015, http://echo.msk.ru/blog/georgiy_mirsky/1560354-echo/.

107. "Vladimir Putin on Foreign Policy: Russia and the Changing World," Valdai Club, February 27, 2012, available at <http://www.globalresearch.ca/vladimir-putin-russia-and-the-changing-world/5477500>.

108. Alexei Anishchuk, "Gaddafi Fall Cost Russia Tens of Blns in Arms Deals," Reuters, November 2, 2011, <http://www.reuters.com/article/2011/11/02/russia-libya-arms-idUSL5E7M221H20111102>.

109. Daniel Treisman, "Why Russia Protects Syria's Assad," CNN, February 3, 2012, <http://www.cnn.com/2012/02/02/opinion/treisman-russia-syria/>.

110. "Vladimir Putin Had a Telephone Conversation with Egyptian President Hosni Mubarak," Kremlin, August 14, 2000, <http://en.kremlin.ru/events/president/news/38896>.

111. See "History of Russian-Egyptian Relations," Embassy of the Russian Federation to the Arab Republic of Egypt, <http://www.egypt.mid.ru/eng/hist/Index.html>. Contents also available at: <http://washin.st/1S9RSu9>.

112. Ibid.

113. "On Suppressing Activities of Terrorist Organizations on the Territory of the Russian Federation," Resolution N3624-III, State Duma of the Russian Federation, February 12, 2003, http://www.pravo.gov.ru/proxy/ips/?docbody=&vkart=card&link_id=5&nd=102080223.

114. "Telephone Conversation with President-Elect Muhammad Mursi," Kremlin, June 28, 2012, <http://en.kremlin.ru/events/president/news/15788>.

115. "Congratulations to President of Egypt Mohammed Morsi on the 60th Anniversary of the July Revolution," Kremlin, July 23, 2012, <http://en.kremlin.ru/events/president/news/16043>.

116. Gabriela Baczynska, "Russia May Ease Muslim Brotherhood Ban to Boost Egypt Ties," Reuters, December 18, 2012, <http://www.reuters.com/article/2012/12/18/us-egypt-politics-russia-idUSBRE8BH0VD20121218>.

117. Kira Latukhina, "Sochi, Palm Trees, Pyramids: Moscow and Cairo Opened Doors for Cooperation," Rossiyskaya Gazeta, April 22, 2013, <http://www.rg.ru/2013/04/22/putin.html>.

118. مثال آخر على نهج النسبية الذي اتبعه الكرملين مع الاسلام، كان الانحياز مع الاسلاميين بعد اندلاع ثورات واحتجاجات في فبراير عام 2006 في عدد من البلدان ذات الأغلبية المسلمة، بعد أشهر من نشر صحيفة بولانديس بوستن الدنماركية روسوماً كريكاتورية مسيئة للنبي محمد. في الشهر نفسه أغلقت الحكومة الروسية صحيفة "جورودسيك" المحلية بعد أن طبعته رسماً كاريكاتورياً يصور النبي محمد مع النبي عيسى وموسى وبودا. وعلى الرغم من إغلاق الحكومة لهذه الصحف إلا أنه جاء دون أي اعتراض شعبي على هذه الرسوم وهو ما يظهر أن بوتين يدعم الاسلام المتطرف إذا ما كان يتمشى مع اهدافه. أنظر

"Russia and the Middle East," Middle East Quarterly, January 19, 2007, <https://www.aei.org/publication/russia-and-the-middle-east/>.

119. Heba Saleh and Kathrin Hille, "Egypt Turns to Russia as Relations with Washington Sour," Financial Times, November 8, 2013, <http://www.ft.com/intl/cms/s/0/6f10930c-489a-11e3-a3ef-00144feabdc0.html#axzz3p20jNzMt>.
120. "What Putin Told the Egyptian Media," Rossiyskaya Gazeta, February 9, 2015, <http://www.rg.ru/2015/02/09/prezident.html>.
121. "Russia Suspends All Flights to Egypt," Economist, November 6, 2015, <http://www.economist.com/news/europe/21678112-after-berating-britain-mr-putin-follows-suit-russia-suspends-all-flights-egypt>.
122. "Decree on Separate Measures to Ensure the National Security of the Russian Federation and the Protection of Citizens against Criminal and Other Illegal Activities," Kremlin, November 9, 2015, <http://kremlin.ru/events/president/news/50647>.
123. Thomas Grove, Tamer el-Ghobashy, and Jenny Gross, "Russia Says Bomb May Have Caused Plane Crash in Egypt," Wall Street Journal, November 9, 2015, <http://www.wsj.com/articles/u-k-to-substantially-increase-intelligence-staff-1447085328>.
124. Interfax, "Egypt Hopes for a Speedy Lifting of Russia's Flight Ban," December 22, 2015, <http://tourism.interfax.ru/ru/news/articles/31090/>.
125. Reuters, "Russia and Egypt Hold Joint Naval Exercise," June 6, 2015, <http://uk.reuters.com/article/2015/06/06/uk-russia-egypt-navy-idUKKBN00M0QR20150606>.
126. Nikolai Novichkov, "Russia's New Maritime Doctrine," IHS Jane's, August 13, 2015, <http://www.janes.com/article/53643/russia-s-new-maritime-doctrine>.
127. Talal Nizameddin, Putin's New Order in the Middle East (London: C. Hurst & Co., 2013), p. 253.
128. Ibid., p. 257.
129. ركز الكثير من المحللين الروس والمعلقين على نقطة مهمة مع بداية الأزمة السورية في عام 2011، وهي أنه في حال انهيار نظام الأسد، فإن إيران ستتبع سوريا في مستنقع اللااستقرار وهذا بدوره سيكون له تأثير الدومينو في عدم الاستقرار في أماكن أخرى مثل القوقاز وآسيا الوسطى. على سبيل المثال أنظر ديمتر جورينبرغ في المذكرة السياسية "الخوف من عدم الاستقرار والدفاع عن المصالح الروسية في الخارجية". <http://washin.st/1VpOHvK>.
130. John Broder, "Despite a Secret Pact by Gore in '95, Russian Arms Sales to Iran Go On," New York Times, October 13, 2000, <http://www.nytimes.com/2000/10/13/world/despite-a-secret-pact-by-gore-in-95-russianarms-sales-to-iran-go-on.html>; Vyacheslav Mikhailov, "Russia-Iran: Prospects for Military-Technical Cooperation," Russian Information Agency, April 17, 2004, http://eng.iran.ru/news/analytics/105/Russia_Iran_Prospects_for_Military_Technical_Cooperation.
131. Leonid Bershidsky, "Putin's Iran Game Bests Obama," Bloomberg, April 15, 2015, <http://www.bloombergvew.com/articles/2015-04-15/putin-siran-game-bests-obama>.
132. Ariel Cohen and James A. Phillips, "Countering Russian-Iranian Military Cooperation," Backgrounder 1425 on Russia (Heritage Foundation, April 5, 2001), <http://www.heritage.org/research/reports/2001/04/counteringrussian-iranian-military-cooperation>.
133. Talal Nizameddin, Putin's New Order in the Middle East (London: C. Hurst & Co., 2013), p. 261.
134. Mark N. Katz, "Iran and Russia," Iran Primer (U.S. Institute of Peace, 2010; updated 2015), <http://iranprimer.usip.org/resource/iran-and-russia>.
135. Jean-Christophe Peuch, "Russia: Moscow Confirms Missile-Systems Deal with Iran," Radio Free Europe / Radio Liberty, February 10, 2006, <http://www.rferl.org/content/article/1065656.html>.

136. As quoted in Stephen Blank, "Resets, Russia, and Iranian Proliferation," *Mediterranean Quarterly* 23, no. 1 (Winter 2012): p. 14–38.
137. Ibid.
138. National Security Strategy of the Russian Federation, Presidential Decree N683, <http://www.rg.ru/2015/12/31/nac-bezopasnost-site-dok.html>.
139. Reuters, "Russia's Putin Says Iran Nuclear Push Is Peaceful," June 11, 2013, <http://www.reuters.com/article/2013/06/11/us-nuclear-iran-russia-idUSBRE95A0W720130611#Qo3QUhvFLdRZVf8c.99>.
140. Mark N. Katz, "Iran and Russia," *Iran Primer* (U.S. Institute of Peace, 2010; updated 2015), <http://iranprimer.usip.org/resource/iran-and-russia>.
141. Robert Tait, Mark Tran, and agencies, "Putin Warns U.S. against Military Action on Iran," *Guardian*, October 16, 2007, <http://www.theguardian.com/world/2007/oct/16/russia.iran>; Nazila Fathi and C. J. Chivers, "In Iran, Putin Warns against Military Action," *New York Times*, October 17, 2007, <http://www.nytimes.com/2007/10/17/world/middleeast/17iran.html?hp>.
142. "Russia Delivers Nuclear Fuel to Iran," *CNN*, December 17, 2007, <http://www.cnn.com/2007/WORLD/middleeast/12/17/russia.iran/>.
143. Talal Nizameddin, *Putin's New Order in the Middle East* (London: C. Hurst & Co., 2013), p. 266.
144. Mark N. Katz, "Why Russia Won't Play Ball on Iran," *Diplomat*, June 23, 2012, <http://thediplomat.com/2012/06/why-russia-wont-play-ball-on-iran/>.
145. Peter Baker and David E. Sanger, "U.S. Makes Concessions to Russia for Iran Sanctions," *New York Times*, May 21, 2010, http://www.nytimes.com/2010/05/22/world/22sanctions.html?_r=0.
146. Eric S. Edelman, interview by author, April 2, 2015, Washington DC.
147. "Hezbollah Delegation Visits Moscow, Meets Lawmakers," *Jerusalem Post*, November 20, 2011, <http://www.jpost.com/Middle-East/Hezbollah-delegation-visits-Moscow-meets-lawmakers>.
148. "Visit of Hezbollah Members to Russia Shrouded in Secrecy," *BBC Russian*, October 20, 2011, http://www.bbc.com/russian/international/2011/10/111020_hezbollah_moscow_talks.shtml; "Hezbollah Makes First Official Visit to Moscow," *Daily Star*, October 19, 2011, <http://www.dailystar.com.lb/News/Politics/2011/Oct-19/151672-hezbollah-makes-first-officialvisit-to-moscow.ashx>.
149. As quoted in Will Fulton et al., "Iran-Lebanese Hezbollah Relationship Tracker 2011," *American Enterprise Institute*, December 31, 2011, <http://www.irantracker.org/military-activities/iran-lebanese-hezbollah-relationship-tracker-2011>.
150. Nikolai Bobkin, "Syrian Conflict: Iran—Russia's Ally," *Mir-politika*, January 4, 2013, <http://mir-politika.ru/2971-siriiskiy-konflikt-iran-soyuznikrossii.html>.
151. "'Don't Exaggerate Case against Iran'—Russia," *RT*, January 11, 2012, <https://www.rt.com/politics/iran-russia-us-israel-missile-nuclear-535/>.
152. "Iran Enriching Uranium at Fordo Plant near Qom," *BBC*, January 10, 2012, <http://www.bbc.com/news/world-middle-east-16470100>.
153. "Meeting with President of the Islamic Republic of Iran Hassan Rouhani" (Shanghai), May 21, 2014, <http://en.kremlin.ru/events/president/news/21061>; and the following other "Meetings with President of Iran Hassan Rouhani": Dushanbe, Tajikistan, September 12, 2014, <http://en.kremlin.ru/events/president/news/46610>; Astrakhan, Russia, September 29, 2014, <http://en.kremlin.ru/events/president/news/46690>; BRICS summit, July 9, 2015, <http://en.kremlin.ru/events/president/news/49897>; UN General Assembly, September 28, 2015, <http://en.kremlin.ru/events/president/news/50391>.



154. "In Tehran, Talks Held between Vladimir Putin and Iranian President Hassan Rouhani," Kremlin, November 23, 2015, <http://kremlin.ru/events/president/news/50770>.
155. Kirill Dzavlahk, "New Level of Relations between Moscow and Tehran," RIA Novosti, November 30, 2015, <http://regnum.ru/news/polit/2023304.html>.
156. "Vladimir Putin Had Talks with President of Iran Hassan Rouhani in Tehran," Kremlin, November 23, 2015, <http://www.en.special.kremlin.ru/events/president/news/50770>.
157. Jenna Liphits, "Iran to Buy S-300 Missile Systems from Russia for \$900 Million," Washington Free Beacon, August 18, 2015, <http://freebeacon.com/national-security/iran-to-buy-s-300-missile-systems-from-russiafor-900-million/>; "Iran Says Russian S-300 System Coming Soon," Times of Israel, August 30, 2015, http://www.timesofisrael.com/liveblog_entry/iran-says-russian-s-300-system-coming-soon/; Interfax, "Russia to Coach Iranian Specialists to Operate New Antey-2500 Air Defense Missile Systems," Russia beyond the Headlines, August 26, 2015, http://rbth.com/news/2015/08/26/russia_to_coach_iranian_specialists_to_operate_new_antey-2500_air_defens_48765.html; Michael Eisenstadt and Brenda Shaffer, "Russian S-300 Missiles to Iran: Groundhog Day or Game-Changer?" PolicyWatch 2482 (Washington Institute for Near East Policy, September 4, 2015), <http://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/russian-s-300-missiles-to-iran-groundhog-day-or-game-changer>.
158. "Rogozin: Russia Began Supplying S-300s to Iran," RIA Novosti, December 30, 2015, http://ria.ru/defense_safety/20151230/1351555104.html.
159. MFA Russia, "The deal on #Iranuclearprogram is based on the approach articulated by President Vladimir Putin," Twitter post, July 15, 2015, https://twitter.com/mfa_russia/status/620906964080422912.
160. "Statement by President of Russia Vladimir Putin following the Completion of Negotiations on Iran's Nuclear Programme," Kremlin, July 14, 2015, <http://en.kremlin.ru/events/president/news/49957>.
161. Georgiy Mirsky, "Iranian Atom, Arab Blood," Echo Moskv, April 5, 2015, http://echo.msk.ru/blog/georgy_mirsky/1524898-echo/.
162. Hanin Ghaddar, "Tehran and Moscow: A Shaky Alliance," NOW Lebanon, October 27, 2015, <https://now.mmedia.me/lb/en/commentary/566128-tehran-and-moscow-a-shaky-alliance>.
163. "Russia to Open \$5 Billion Credit Line for Iran to Finance Projects," Radio Free Europe / Radio Liberty, October 23, 2015, <http://www.rferl.org/content/russia-open-5-billion-credit-line-for-iran-finance-infrastructureprojects/27321777.html>.
164. Ekaterina Stepanova, "Russia and U.S. Policy toward Iraq: Conflict of Interests and Limits of Dissent," PONARS Policy Memo 249 (Institute of World Economy and International Relations, October 2002), http://www.gwu.edu/~ieresgwu/assets/docs/ponars/pm_0249.pdf.
165. Carola Hoyos, "Russia in New Push to Lift Iraq UN Sanctions," Financial Times, September 12, 2000.
166. "Global Insider: Russia-Iraq Relations," World Politics Review, June 14, 2011, <http://www.worldpoliticsreview.com/trend-lines/9141/global-insiderrussia-iraq-relations>.
167. Robert O. Freedman, "Russia and the Middle East under Putin," Ortadogu Etutleri 2, no. 3 (July 2010): p. 16, http://www.orsam.org.tr/en/enUploads/Article/Files/201082_robertfeedman.orsam.etutler.pdf.
168. Jonathan Fuerbringer, "Oil Prices Near \$30 a Barrel, a 15-Month High," New York Times, August 20, 2002, <http://www.nytimes.com/2002/08/20/business/oil-prices-near-30-a-barrel-a-15-month-high.html>.
169. "Colin Powell: Iraq Will Recognize Its Debt to Russia," Rosbalt News Agency, May 15, 2003, <http://journal.probeinternational.org/2003/05/15/colinpowell-iraq-will-recognize-its-debt-russia/>. Once the Soviet



Union fell apart, immigration became free and therefore, the Kremlin argued, JacksonVanik should be repealed given that it no longer reflected reality.

170. Robert O. Freedman, "Russia and the Middle East under Putin," *Ortadogu Etutleri* 2, no. 3 (July 2010): p. 17, http://www.orsam.org.tr/en/enuploads/article/files/201082_robertfeedman.orsam.etutler.pdf. Ariel Cohen, "U.S.- Russian Relations Threatened by Iraq Arms Sales," *WebMemo 247 on Russia* (Heritage Foundation, April 1, 2003), <http://www.heritage.org/research/reports/2003/04/us-russian-relations-threatened-by-iraq-arms-sales>.

171. "Russia Tied to Iraq's Missing Arms," *Washington Times*, October 28, 2004, <http://www.washingtontimes.com/news/2004/oct/28/20041028-122637-6257r/?page=all>.

172. Yevgeny M. Primakov, *A World Challenged: Fighting Terrorism in the TwentyFirst Century* (Washington DC: Brookings Institution Press, 2004), p. 91.

173. The pro-Kremlin newspaper *Izvestia* ran a March 13, 2003, editorial titled "Detachment of the Honest Broker," which argued, among other things, that Iraq was ultimately unworthy of confrontation with the United States.

174. David Filipov, "Russia Offers to Ease Iraq Debt for Oil Contracts," *Boston Globe*, December 23, 2003, http://www.boston.com/news/world/articles/2003/12/23/russia_offers_to_ease_iraq_debt_for_oil_contracts/; Associated Press, "Russia Set to Forgive Much of Iraq's Debt," *NBCNews.com*, December 22, 2003, <http://washin.st/1QB755v>.

175. "STEO Supplement: Why Are Oil Prices So High?" U.S. Energy Information Administration, <http://www.eia.gov/forecasts/steo/special/pdf/highoil-price.pdf>.

176. Kester Kenn Klomegah, "Iraq: Russia Looking for Economic Expansion," *Inter Press Service News Agency*, February 2, 2005, <http://www.ipsnews.net/2005/02/iraq-russia-looking-for-economic-expansion/>; "Vagit Alekperov, Lukoil President, Met with Iraqi Foreign Minister," press release, Lukoil, November 23, 2005, <http://www.lukoil.com/press.asp?divid=1&year=2005&id=2451&pr=yes>; Torrey Clark, "Lukoil Soothing Iraq with \$5M Donation," *Moscow Times*, September 13, 2005, <http://www.themoscowtimes.com/sitemap/free/2005/9/article/lukoil-soothing-iraqwith-5m-donation/209988.html>.

177. Andrew E. Kramer, "Russia Forgives Iraq Billions in Debt," *New York Times*, February 12, 2008, http://www.nytimes.com/2008/02/12/world/europe/12moscow.html?_r=0.

178. See Lukoil's Iraq page: <http://lukoil-overseas.com/projects/irak/>; and Gazprom's Iraq page: <http://www.gazprom.com/about/production/projects/deposits/iraq/>. See also Paul Maidment, "Russia's Lukoil Big Winner at 2nd Iraq Oil Auction," *Forbes*, December 12, 2009, <http://www.forbes.com/2009/12/12/lukoil-iraq-oil-business-energy-west-qurna-auction.html>.

179. "Global Insider: Russia-Iraq Relations," *World Politics Review*, June 14, 2011, <http://www.worldpoliticsreview.com/trend-lines/9141/global-insider-russia-iraq-relations>.

180. Christopher Harress, "India, China and Iraq Become Biggest Russian Weapons Importers amid Western Sanctions," *International Business Times*, July 22, 2015, <http://www.ibtimes.com/india-china-iraq-become-biggest-russian-weapons-importers-amid-western-sanctions-2019581>.

181. "Russia to Become Iraq's Second-Biggest Arms Supplier," *BBC*, October 9, 2012, <http://www.bbc.com/news/world-europe-19881858>.

182. United Press International, "Iraq Gets Russian Arms Shipments under Landmark \$4.4B Deal," October 21, 2013, <http://washin.st/23s7HzF>.

183. Interfax, "Russia Is Ready to Work with Iraq on Energy, Military-Technical Cooperation—Putin," *Russia & CIS Business and Financial Newswire*, October 23, 2015, p. 1.

184. Ben Lando, "Q&A: Lukoil Overseas President Andrey Kuzyaev," Iraq Oil Report, May 7, 2014, <http://www.iraqoilreport.com/energy/qa-lukoiloverseas-president-andrey-kuzyaev-12214/>.
185. Ben Lando and Patrick Osgood, "Gazprom Neft Expands KRG Presence with Halabja Block," Iraq Oil Report, February 20, 2013, <http://www.iraqoilreport.com/energy/gazprom-neft-expands-krp-presence-with-halabja-block-9978/>
186. "Politics: Russia-Iraq-Ministry of Internal Affairs-Situation-1," Euronews, June 12, 2014, excerpts available at http://fmso.leavenworth.army.mil/OEWatch/201407/Russia_06.html.
187. "Russian MFA on Situation in Iraq: Unacceptable to Interfere in Affairs of Other Countries," RIA Novosti, June 12, 2014, <http://ria.ru/world/20140612/1011777296.html>. 188. "West Began Grabbing Geopolitical Territory after Fall of USSR— Putin," Sputnik, June 19, 2015, <http://sputniknews.com/politics/20150619/1023579895.html>.
189. Andrej Kreutz, *Russia in the Middle East: Friend or Foe?* (Westport, CT: Praeger, 2006), p. 89.
190. Talal Nizameddin, *Putin's New Order in the Middle East* (C. Hurst & Co.: London, 2013), pp. 127–28.
191. See, for example, Ahmed Hussein, "Medvedev Renews Russia's Support for Iraq's Unity, Stability," Iraqi News, April 10, 2009, <http://www.iraqinews.com/baghdad-politics/medvedev-renews-russias-support-for-iraqs-unitystability/>.
192. James Brooke, "Russia Helped Build Syria's Chemical Weapons," Moscow Times, September 11, 2013, <http://www.themoscowtimes.com/opinion/article/russia-helped-build-syrias-chemical-weapons/485870.html>.
193. وكما ورد في دير شبيغل عام 2012، كان الجنرال أناتولي كيونتسفيتش، مستشار يلتسن، يقوم بزيارات متكررة لدمشق ولعب دوراً قيادياً هناك. أنظر روبين بيرغمان، جولينا فون ميتلشتايدت وماتياس شيب، وهولغر ستارك "الخط الأحمر في إسرائيل: مصير الأسلحة الكيميائية في سوريا يزعم كيونتسفيتش عن تأسيس اتصالات مع أعضاء قياديين في النظام السوري دفعت له مبالغ طائلة مقابل الحصول على معلومات عن كيفية تصنيع الغاز السام. ووفقاً لمجلة دير شبيجل" تم شحن 800 لتر من المواد الكيميائية إلى سوريا لإنتاج الغاز السام". أما الجنرال الروسي المتقاعد، يوري ايفانوف، الذي شغل منصب نائب مدير مديرية المخابرات الروسية، اختفى في بلدة ساحلية سورية أثناء توجهه للقاء ضابطين من المخابرات العسكرية السورية. ووفق صحفي الشرق الأوسط في "موسكو تايمز" فإن هناك تكهنات بقتل الموساد لهؤلاء الضباط.
- <http://www.spiegel.de/international/world/israel-prepares-plans-to-neutralize-syrian-chemical-weapons-a-847203.html>).
194. Barry Renfrew, "Syrian Visit Brings Even Closer Ties," Moscow Times, July 7, 1999, <http://www.themoscowtimes.com/news/article/tmt/275219.html>.
195. Van Hipp, "Russia's Putin Is Making His Moves in Syria and Beyond," Fox News, June 27, 2012, <http://www.foxnews.com/opinion/2012/06/27/russia-putin-is-making-his-moves-in-syria-and-beyond.html>; Ariel Cohen, "Russia's Troubling Arms Sales," Washington Times, March 19, 2007, <http://www.washingtontimes.com/news/2007/mar/19/20070319-092046-3099r/print/>.
196. United Nations, "Security Council Authorizes Establishment of Special Tribunal to Try Suspects in Assassination of Rafiq Hariri," press release, May 30, 2007, <http://www.un.org/press/en/2007/sc9029.doc.htm>; Rym Ghazal, "UN Approves Hariri Court," Daily Star, May 31, 2007, <https://www.globalpolicy.org/component/content/article/163/29023.html>.
197. "Statement by Russian MFA Spokesman Mikhail Kamynin regarding the Russian Federation's Contribution to Finance the Special Tribunal for Lebanon," Russian Ministry of Foreign Affairs, April 4, 2008, <http://washin.st/1NzajjG>.

198. Laura Smith-Spark and Phil Black, "UK Inquiry into Litvinenko's Poisoning Death Wraps Up," CNN, August 1, 2015, <http://www.cnn.com/2015/08/01/europe/uk-russia-litvinenko-inquiry/>. On the inquiry's conclusion, Litvinenko's lawyer and his wife laid the blame on Putin.
199. "Syria Completely Supports Russia in the Georgia-Ossetia Conflict— Bashar Assad," Regnum News Agency, August 20, 2008, <http://www.regnum.ru/news/polit/1043940.html>. Damascus was also one of the few regimes to support the Soviet invasion of Afghanistan, a deed for which the Kremlin gave Hafiz al-Assad military equipment.
200. "Russia Will Be Ready to Provide Syria with Defensive Weapons," RIA Novosti, August 21, 2008, <http://ria.ru/politics/20080821/150566193.html>.
201. Khaled Yacoub Oweis, "Russia Plans to Raise Navy Presence in Syria: Diplomat," Reuters, August 27, 2008, <http://www.reuters.com/article/us-syriarussia-idUSLR39985220080827>.
202. Richard F. Grimmett, "Conventional Arms Transfers to Developing Nations, 2003–2010," Congressional Research Service, September 22, 2011, <https://www.fas.org/sgp/crs/weapons/R42017.pdf>. See also reference in David M. Herszenhorn, "For Syria, Reliant on Russia for Weapons and Food, Old Bonds Run Deep," New York Times, February 18, 2012, <http://www.nytimes.com/2012/02/19/world/middleeast/for-russia-and-syriabonds-are-old-and-deep.html>.
203. Howard Amos, "Billions of Dollars of Russian Business Suffers along with Syria," Moscow Times, September 2, 2011, <http://www.themoscowtimes.com/business/article/billions-of-dollars-of-russian-business-suffers-along-with-syria/443078.html>.
204. James Brooke, "Russia Helped Build Syria's Chemical Weapons," Moscow Times, September 11, 2013, <http://www.themoscowtimes.com/opinion/article/russia-helped-build-syrias-chemical-weapons/485870.html>.
205. Ernesto Londoño and Greg Miller, "U.S. Officials Say Syria Is Using Remaining Chemical Weapons Stockpile as Leverage," April 30, 2014, Washington Post, https://www.washingtonpost.com/world/national-security/us-officials-say-syria-is-using-remaining-chemical-weapons-stockpile-as-leverage/2014/04/30/1dd68c8a-d0a8-11e3-9e25-188ebe1fa93b_story.html.
206. Carol J. Williams, "New UN Probe of Syrian Chemical Weapons Use to Name Perpetrators," Los Angeles Times, September 10, 2015, <http://www.latimes.com/world/middleeast/la-fg-syria-chemical-weapons-un-probe-20150910-story.html>. See also the following sources: "Despite UN Investigation, Lavrov Claims Syria's Chemical Weapons 'Resolved,'" National, August 9, 2015, <http://www.thenational.ae/world/middle-east/despite-un-investigation-lavrov-claims-syrias-chemical-weapons-resolved>; "Lavrov Urges U.S. to Include Syria in Countering IS," Radio Free Europe / Radio Liberty, August 9, 2015, <http://www.rferl.org/content/lavrovurges-us-syria-islamic-state/27179598.html>; "Lavrov Urges to Refrain from Groundless Claims of Syrian Chemical Weapons," Sputnik, August 9, 2015, <http://sputniknews.com/politics/20150809/1025548616.html#ixzz3jkymNmVV>.
207. "A Ship Comes Loaded with Timber...or Weapons?" Utrikesperspektiv, December 12, 2013, <http://utrikesperspektiv.se/?p=348>.
208. "Russia Denies Hijacked Ship Was Carrying Missiles," CNN, September 8, 2009, <http://www.cnn.com/2009/WORLD/europe/09/08/russia.missing.ship/index.html?iref=nextin>; Luke Harding, "Was the Cargo Ship Arctic Sea Really Hijacked by Pirates?" Guardian, September 23, 2009, <http://www.theguardian.com/world/2009/sep/24/arctic-sea-russia-pirates>; Michael Schwartz, "More Questions about a Hijacked Ship," New York Times, October 10, 2009, http://www.nytimes.com/2009/10/11/world/europe/11arctic.html?_r=0.
209. Interfax, "EU Rapporteur Presumes Arctic Sea Transported Russian Missiles," August 19, 2009, <https://archive.is/RWW5z>.



210. "U.S. Embassy Cables: Russia Is Virtual 'Mafia State,' Says Spanish Investigator," Guardian, December 2, 2010, <http://www.theguardian.com/world/us-embassy-cables-documents/247712>.
211. Luke Harding, "Cyprus Stops Syria-Bound Russian Ammunition Ship," Guardian, January 11, 2012, <http://www.theguardian.com/world/2012/jan/11/cyprus-stops-syria-russian-ship>.
212. Oliver Carmichael, "Russia Confirms Cargo Ship Was Carrying Weapons to Syria," Telegraph, June 21, 2012, <http://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/middleeast/syria/9347014/Russia-confirms-cargo-ship-was-carrying-weapons-to-syria.html>.
213. "Finland Probes 'Syria Arms Smuggling Attempt,'" Al Jazeera, February 16, 2013, <http://www.aljazeera.com/news/americas/2013/02/2013215224954763885.html>.
214. "A Ship Comes Loaded with Timber...or Weapons?" Utrikesperspektiv, December 12, 2013, <http://utrikesperspektiv.se/?p=348>.
215. Dafna Linzer, Michael Grabell, and Jeff Larson, "Flight Records Say Russia Sent Syria Tons of Cash," ProPublica, November 26, 2012, <http://www.propublica.org/article/flight-records-list-russia-sending-tons-of-cash-to-syria>.
216. Talal Nizameddin, *Putin's New Order in the Middle East* (London: C. Hurst & Co., 2013), pp. 195–96.
217. Mark N. Katz, "Putin's Pro-Israel Policy," *Middle East Quarterly* 12, no. 1 (Winter 2005): pp. 51–59, <http://www.meforum.org/690/putins-pro-israel-policy>.
218. Robert O. Freedman, "Russia and the Middle East under Putin," *Ortodogu Etutleri* 2, no. 3 (July 2010): p. 33, http://www.orsam.org.tr/en/enUploads/Article/Files/201082_robertfeedman.orsam.etutler.pdf.
219. "Russian-Jordanian Relations," Russian-Jordanian Business Council, <http://russian-jordanian-bc.org/en/russian-jordanian-relations/>.
220. "On the Outcomes of the First Meeting of the Russian-Jordanian IC [Intergovernmental Commission]," Embassy of the Russian Federation in Jordan, http://www.jordan.mid.ru/pr_130.html.
221. Associated Press, "Russia to Build Jordan's First Nuclear Power Plant," Al Jazeera, March 24, 2015, <http://www.aljazeera.com/news/middleeast/2015/03/russia-build-jordan-nuclear-power-plant-150324192954416.html>.
222. "Meeting with the Successor to the Crown Prince, Minister of Defense of Saudi Arabia, Muhammad bin Salman," press release, Kremlin, June 18, 2015, <http://kremlin.ru/events/president/news/49724>.
223. Interfax, "Saudi Arabia Plans to Build 16 Nuclear Plants Worth \$100 Billion," June 19, 2015, <http://www.interfax.ru/world/448582>.
224. "Saudi, Russia Sign Nuclear Deal," Al-Arabiya, June 18, 2015, <http://english.alarabiya.net/en/News/middle-east/2015/06/18/Saudi-deputy-crown-prince-meets-Putin-in-Russia.html>.
225. Andrey Ostroukh, "Saudi Arabia to Invest up to \$10 Billion in Russia," *Wall Street Journal*, July 6, 2015, <http://www.wsj.com/articles/saudi-arabiato-invest-up-to-10-billion-in-russia-1436198674>.
226. Fred Weir, "Goodbye Washington, Hello Moscow? Saudi Arabia Finds Friendly Face in Putin," *Christian Science Monitor*, July 3, 2015, <http://www.csmonitor.com/World/Europe/2015/0703/Goodbye-Washington-helloMoscow-Saudi-Arabia-finds-friendly-face-in-Putin>.
227. Reuters, "Russia, Jordan Agree on Military Coordination on Syria," October 23, 2015, <http://www.reuters.com/article/2015/10/23/us-mideastcrisis-syria-russia-jordan-idUSKCN0SH1ER20151023>.
228. "TSG IntelBrief: Russia's Trade and Investment Strategy with Israel," Soufan Group, March 27, 2013, <http://soufangroup.com/tsg-intelbriefrussias-trade-and-investment-strategy-with-israel/>. Natalya Melnikova and



- Aleksandra Samarina, "Putin—'Real Friend of Israel,'" *Nezavisimaya Gazeta*, November 4, 2003, http://www.ng.ru/politics/2003-11-04/2_putin.html.
229. Ora Coren, "Israel, Russia to Ally on Nanotech," *Haaretz*, June 8, 2009, <http://www.haaretz.com/print-edition/business/israel-russia-to-ally-onnanotech-1.277534>.
230. "Putin's Visit to Israel," *RIA Novosti*, June 26, 2012, http://ria.ru/trend/Israel_Putin_visit_25062012/.
231. "Meeting with Israeli President Shimon Peres," transcript, Kremlin, June 25, 2012, <http://kremlin.ru/events/president/news/15731>.
232. Steven Lee Myers and Greg Myre, " Hamas Delegation Visits Moscow for a Crash Course in Diplomacy," *New York Times*, March 4, 2006, http://www.nytimes.com/2006/03/04/international/middleeast/04hamas.html?_r=0.
233. "Russia and Israel Cosy Up over Syria," *Economist*, September 30, 2015, <http://www.economist.com/news/middle-east-and-africa/21669563-though-opposite-sides-syrian-conflict-binyamin-netanyahu-and-vladimir-putin-agree>.
234. Emre Erşen, "Russian-Turkish Relations in the New Century," in *Turkey in the 21st Century: Quest for a New Foreign Policy*, ed. Özden Zeynep Oktav (Farnham: Ashgate, 2011), chapter 5, p. 95.
235. Robert O. Freedman, "Russia and the Middle East under Putin," *Ortadogu Etutleri* 2, no. 3 (July 2010): p. 26, http://www.orsam.org.tr/en/enUploads/Article/Files/201082_robertfeedman.orsam.etutler.pdf.
236. "Blue Stream," Gazprom, <http://www.gazprom.com/about/production/projects/pipelines/blue-stream/>.
237. Sami Kohen, "'Partnership' with Russia," *Milliyet*, October 26, 2000; republished in *Hurriyet Daily News*, October 27, 2000, <http://www.hurriyetdailynews.com/from-the-papers.aspx?pageID=438&n=from-the-papers-2000-10-27>.
238. Robert O. Freedman, "Russia and the Middle East under Putin," *Ortadogu Etutleri* 2, no. 3 (July 2010): p. 26, http://www.orsam.org.tr/en/enUploads/Article/Files/201082_robertfeedman.orsam.etutler.pdf; "Russia Offers Gas to Turks," *Kommersant*, November 24, 2000, <http://www.kommersant.ru/doc/161412>; Turkish Ministry of Foreign Affairs, "Turkey's Political Relations with Russian Federation," http://www.mfa.gov.tr/turkey_s-politicalrelations-with-russian-federation.en.mfa.
239. Turkish Ministry of Foreign Affairs, "Turkey's Political Relations with Russian Federation," http://www.mfa.gov.tr/turkey_s-political-relationswith-russian-federation.en.mfa.
240. "Blue Stream," Gazprom, <http://www.gazprom.com/about/production/projects/pipelines/blue-stream/>.
241. Robert O. Freedman, "Russia and the Middle East under Putin," *Ortadogu Etutleri* 2, no. 3 (July 2010): p. 26, http://www.orsam.org.tr/en/enUploads/Article/Files/201082_robertfeedman.orsam.etutler.pdf.
242. Bulent Aras, "Turkey and the Russian Federation: An Emerging Multidimensional Partnership," *Today's Zaman*, August 11, 2009, http://www.todayszaman.com/todays-think-tanks_turkey-and-the-russian-federationan-emerging-multidimensional-partnership_183695.html.
243. Turkish Ministry of Foreign Affairs, "Turkey's Political Relations with Russian Federation," http://www.mfa.gov.tr/turkey_s-political-relationswith-russian-federation.en.mfa.
244. "Chronology of Putin's Meetings while in Turkey," December 5–6, 2004, <http://archive.kremlin.ru/events/chron/2004/12/80719.shtml>; "Opening Remarks at a Russian-Turkish Business Forum," Kremlin, December 4, 2004, <http://en.kremlin.ru/events/president/transcripts/22728>.
245. "Turkey," Wilson Center, July 7, 2011, <https://www.wilsoncenter.org/publication/turkey#sthash.gpdUdBIQ.dpuf>.



246. "President Vladimir Putin Met with Turkish Prime Minister Recep Tayyip Erdogan," press release, Kremlin, January 10, 2005, <http://en.kremlin.ru/events/president/news/32567>.
247. "Erdogan Aims to Raise Turkish-Russian Trade Volume to \$25 Billion," Hurriyet Daily News, July 19, 2005, <http://www.hurriyetdailynews.com/erdogan-aims-to-raise-turkish-russian-trade-volume-to-25-billion.aspx?pageID=438&n=erdogan-aims-to-raise-turkish-russian-trade-volume-to-25-billion-2005-07-19>.
248. Bulent Aras, "Turkey and the Russian Federation: An Emerging Multidimensional Partnership," Today's Zaman, August 11, 2009, http://www.todayszaman.com/todays-think-tanks_turkey-and-the-russian-federationan-emerging-multidimensional-partnership_183695.html.
249. "Turkey, Russia to Seek New Ways to Deepen Economic Ties despite Disagreements in Syria, Ukraine," Hurriyet Daily News, December 1, 2014, <http://www.hurriyetdailynews.com/turkey-russia-to-seek-new-ways-to-deepen-economic-ties-despite-disagreements-in-syria-ukraine.aspx?pageID=238&nID=75027&NewsCatID=510>.
250. "Cool Pragmatism," Economist, December 8, 2012, <http://www.economist.com/news/europe/21567974-they-may-disagree-about-syria-russiaand-turkey-keep-close-business-relations-cool-pragmatism>; Delphine d'Amora, "Where Russian Tourists Will (And Won't) Go in 2015," Moscow Times, March 22, 2015, <http://www.themoscowtimes.com/business/article/where-russian-tourists-will-and-won-t-go-in-2015/517836.html>.
251. "Turkey, Russia to Seek New Ways to Deepen Economic Ties despite Disagreements in Syria, Ukraine," Hurriyet Daily News, December 1, 2014, <http://www.hurriyetdailynews.com/turkey-russia-to-seek-new-ways-to-deepen-economic-ties-despite-disagreements-in-syria-ukraine.aspx?pageID=238&nID=75027&NewsCatID=510>.
252. Natasha Ezro, "Will Russian Airstrikes in Syria Derail Turkey Relationship?" CNN, October 8, 2015, <http://www.cnn.com/2015/10/08/opinions/syria-airstrikes-russia-turkey-opinion/>; Robin Emmott and Laila Bassam, "NATO Rejects Russia Explanation on Turkish Air Space," Reuters, October 6, 2015 <http://www.reuters.com/article/2015/10/07/us-mideast-crisissyria-idUSKCN0S01DS20151007>.
253. James F. Jeffrey, "Russian Overflight of Turkey: More than Meets the Eye?" Policy Alert (Washington Institute for Near East Policy, October 6, 2015), <http://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/russian-overflight-of-turkey-more-than-meets-the-eye>.
254. "Erdogan Says Turkey Cannot Endure Violation of Its Airspace by Russia," Radio Free Europe / Radio Liberty, October 6, 2015, <http://www.rferl.org/content/russia-turkey-erdogan-warning-airspace-violation/27291396.html>.
255. Ishaan Tharoor, "How the Rivalry between Russians and Turks Shaped the World," Washington Post, October 9, 2015, <https://www.washingtonpost.com/news/worldviews/wp/2015/10/09/how-the-rivalry-between-russians-and-turks-shaped-the-world/>.
256. Ercan Ersoy, Elena Mazneva, and Ilya Arkhipov, "Turkey-Russia Gas Pipeline Deal Said to Stall on Price Clash," Bloomberg, June 30, 2015, <http://www.bloomberg.com/news/articles/2015-06-30/russia-turkey-gaspipeline-deal-said-to-stall-on-price-dispute>.
257. Guy Chazan and Piotr Zalewski, "Strains over Syria Jeopardise TurkeyRussia Economic Ties," Financial Times, October 12, 2015, <http://washin.st/1WN8sPl>.
258. Haroon Siddique, "Syrian Refugees in Turkey Exceed 1 Million Mark," Guardian, June 19, 2014, <http://www.theguardian.com/world/2014/jun/19/syrian-refugees-turkey-exceed-million>; Richard Spencer, Raziye Akkoc, and Justin Huggler, "Million More Refugees Will Leave Syria due to Russian Strikes, Turkey Warns Europe," Telegraph, October 28, 2015, <http://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/europe/turkey/11961636/Million-more-refugees-will-leave-Syria-due-to-Russian-strikes-Turkeywarns-Europe.html>.



259. Reuters, "Turkey Summons Russian Envoy over Bombing of Turkmens in Syria: PM," November 20, 2015, <http://www.reuters.com/article/us-mideast-crisis-syria-turkey-russia-idUSKCN0T91MO20151120>.
260. Don Melvin, Michael Martinez, and Zeynep Bilginsoy, "Putin Calls Jet's Downing 'Stab in the Back'; Turkey Says Warning Ignored," CNN, November 24, 2015, <http://www.cnn.com/2015/11/24/middleeast/warplanecrashes-near-syria-turkey-border/>.
261. "Amendments Made to the Decree on Measures to Ensure National Security and Protection of Russian Citizens from Unlawful Actions and Application of Special Economic Measures against Turkey," Kremlin, December 28, 2015, <http://kremlin.ru/acts/news/51027>.
262. Stephen Blank, "Russia's High-Stakes Game in Iraq: Expanding Their Role in the Middle East," Second Line of Defense, January 19, 2014, <http://www.sldinfo.com/russias-high-stakes-game-in-iraq-expanding-their-role-in-the-middle-east/>.
263. Edward Lucas, "Russia Has Published Books I Didn't Write!" Daily Beast, August 20, 2015, <http://www.thedailybeast.com/articles/2015/08/20/russia-turned-me-into-propaganda.html>.
264. Edward Lucas, Deception: The Untold Story of East-West Espionage Today (New York: Bloomsbury, 2012), p. 326.
265. Alissa de Carbonnel, "Russian Pollster Says Approval for Putin at 12-Year Low," Reuters, January 24, 2013 <http://www.reuters.com/article/2013/01/24/us-russia-putin-approval-idUSBRE90N0IX20130124>.
266. Maria Lipman, "How Russia Has Come to Loathe the West," European Council on Foreign Relations, March 13, 2015, http://www.ecfr.eu/article/commentary_how_russia_has_come_to_loathe_the_west311346.
267. بوتين برر بشكل روتيني أفعاله عن طريق مقارنتها بما يراه مماثلًا من الاعمال العسكرية الامريكية. فعلى سبيل المثال، تحدثت تقارير عن تبريره لسيطرته على وسائل الاعلام الروسية: " لا تعطوني محاضرة عن حرية الصحافة، ليس بعد أن طردتم ذلك الصحفي " في إشارة منه إلى الصحفي في شبكة بي بي سي الاخبارية المسائية الذي كان ستتحى بعد تقريره عن تزوير الخدمة العسكرية للرئيس الامريكى السابق جورج دبليو بوش.
- "The Seduction of George W. Bush," Foreign Policy, November 6, 2013, <http://foreignpolicy.com/2013/11/06/the-seduction-of-george-w-bush/>.
268. Igor Khrestin and John Elliott, "Russia and the Middle East," Middle East Quarterly, January 19, 2007, <https://www.aei.org/publication/russia-and-the-middle-east/>.
269. Christopher Walker and Robert Ortung, "Russia Props Up Putin in the Polls," Washington Post, January 30, 2015, https://www.washingtonpost.com/opinions/how-russia-props-up-putin-in-the-polls/2015/01/30/0302bea8-a59e-11e4-a7c2-03d37af98440_story.html; Amanda Azinheira, "Not Mr. Popularity," U.S. News & World Report, July 21, 2015, <http://www.usnews.com/opinion/blogs/world-report/2015/07/21/putins-high-poll-numbers-dont-mean-hes-popular>; Anna Borshchetskaya, "View from Moscow: How Putin's Incompetence Led to the Crisis in Ukraine," New Criterion (September 2014), <http://www.newcriterion.com/articles.cfm/View-fromMoscow-7948>.
270. Tom Parfitt, "Seven Reasons to Explain Vladimir Putin's Popularity Cult," Telegraph, November 27, 2014, <http://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/vladimir-putin/11257362/Seven-reasons-to-explain-Vladimir-Putins-popularity-cult.html>.
271. "Nine Reasons Why I Am Leaving Russia," Gazeta, August 22, 2011, http://www.gazeta.ru/realty/2011/08/17_e_3735725.shtml; Elena Holodny, "Russia's Brain Drain Is Astounding," Business Insider, December 2, 2014, <http://www.businessinsider.com/russia-brain-drain-putin-ukrainecrimea-2014-12>.

272. Anna Borshchevskaya, "Will Protests Break Out in Russia over the Economic Crisis?" The Hill, December 29, 2014, <http://thehill.com/blogs/pundits-blog/international/228154-will-protests-break-out-in-russia-over-the-economic-crisis>. 273. Georgiy Mirsky, "Who Benefits from a Weak Russia," Echo Mosky, October 5, 2014, http://echo.msk.ru/blog/georgy_mirsky/1412710-echo/.
274. "Socialists Found Dormant Aggression in Russian Citizens," Levada Center, December 2, 2015, <http://www.levada.ru/2015/12/02/sotsiologobnaruzhili-v-rossiyanah-spyashhuyu-agressiyu>.
275. "Two-Thirds of Russians Think Their Country Is Great Power," Moscow Times, November 30, 2015, <http://www.themoscowtimes.com/news/article/two-thirds-of-russians-think-their-country-is-great-power/551143.html>.
276. "Great and Mighty," Levada Center, November 30, 2015, <http://www.levada.ru/2015/11/30/velikaya-i-moguchaya/print/>.
277. "Two-Thirds of Russians Think Their Country Is Great Power," Moscow Times, November 30, 2015, <http://www.themoscowtimes.com/news/article/two-thirds-of-russians-think-their-country-is-great-power/551143.html>.
278. "Great and Mighty," Levada Center, November 30, 2015, <http://www.levada.ru/2015/11/30/velikaya-i-moguchaya/print/>.
279. Ibid.
280. Don Melvin and Matthew Chance, "Russia Says Bomb Brought Down Jet in Sinai, Offers \$50 Million Reward," CNN, November 17, 2015, <http://www.cnn.com/2015/11/17/middleeast/russian-metrojet-crash-bomb/>.
281. "Meeting on the Results of Investigations into the Causes of the Russian Plane Crash in the Sinai," Kremlin, November 17, 2015, <http://kremlin.ru/events/president/news/50707>.
282. حتى أواخر 2015، امتلكت شركة اجنبية فيدوموستي، بما في ذلك مشروع مشترك مع شركة بيرسون وداو جونز، والتي وافقت على بيع حصصها بعد القانون الروسي الذي أصدر عام 2014، والذي يحد من الملكية الأجنبية لوسائل الإعلام الروسية. " تري كاترين هيلي " بيرسون وداو جونز بيع حصص في صحيفة فيدوموستي الروسية
Financial Times, November 20, 2015, <http://www.ft.com/cms/s/0/317e2aea-8f83-11e5-8be4-3506bf20cc2b.html#axzz3wx6fAAxp>.
283. Maxim Trudolyubov, "Putin's Emergency Politics," New York Times, November 23, 2015, http://www.nytimes.com/2015/11/24/opinion/putinsemergency-politics.html?ref=collection%2Ftimestopic%2FTrudolyubov%2C%20Maxim&action=click&contentCollection=opinion@ion=stream&module=stream_unit&version=latest&contentPlacement=1&pgtype=collection.
284. "Paris Attacks: What Happened on the Night," BBC, December 9, 2015, <http://www.bbc.com/news/world-europe-34818994>.
285. Angeline Benoit and Helene Fouquet, "France's Hollande Says Vladimir Putin Isn't Ally in Syria," Bloomberg, October 4, 2015, <http://www.bloomberg.com/news/articles/2015-10-04/france-s-hollande-says-vladimir-putin-isn-t-ally-in-syria>.
286. "Etes-vous favorable à l'élargissement de la coalition contre Daech à la Russie?" November 17, 2015 (updated November 18), Le Figaro, <http://www.lefigaro.fr/actualites/2015/11/17/01001-20151117QCMWW00145-etes-vous-favorable-a-l-elargissement-de-la-coalition-contredaech-a-la-russie.php>. 287. Don Melvin, Michael Martinez, and Zeynep Bilginsoy, "Putin Calls Jet's Downing 'Stab in the Back'; Turkey Says Warning Ignored," CNN, November 24, 2015, <http://www.cnn.com/2015/11/24/middleeast/warplanecrashes-near-syria-turkey-border/>.

288. "Putin to Turkey: Expect More Sanctions for Jet Shoot-Down," Reuters, December 3, 2015, <http://www.reuters.com/article/2015/12/03/us-russiaputin-idUSKBN0TM0YF20151203#5djWsXwh2ohjqc1T.97>.
289. Robin Emmott, "At NATO, Turkey Remains Defiant over Russian Jet," Reuters, November 30, 2015, <http://www.reuters.com/article/2015/11/30/us-syria-crisis-turkey-nato-idUSKBN0TJ14F20151130#eDY7qeYYJkEqOJ8D.99>.
290. "Expanded Board Meeting of the Defense Ministry," Kremlin, December 11, 2015, <http://kremlin.ru/events/president/news/50913>.
291. Elizabeth Pineau and Denis Pinchuk, "Hollande, Putin Agree to Work More Closely to Combat Islamic State in Syria," Reuters, <http://www.reuters.com/article/2015/11/26/us-mideast-crisis-russia-france-idUSKBN0TF1ZX20151126#QYzev3UGbCURv74d.99>.
292. Adam Kredo, "Iran Serving as Russia's 'Ground Force' in Syria," Washington Free Beacon, December 2, 2015, <http://freebeacon.com/national-security/iran-serving-as-russias-ground-force-in-syria/>.

